بريد الإسلام

٢

THE ISLAMIC MAIL

DISPATCHED BY ALLAH

الله ابتعثنا

لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه ، لندعوهم إليه .

« ربعي بن عامر » رضي الله عنه

المحتـــوي

الموضـــوع	الصفحة
بسم الله : تزود ، فإن التقى خير زاد	٢
جوامع الكلم :	
عالم بأمرالدنيا ،جاهل بأمر الآخرة	٣
شاهد من أهلها : لماذا يُلحدون ؟	٥
موضوع العدد :	
أعمال الكافر.. هل تنفعه ؟	٧
نظرة فى تاريخ العقيدة (٢)	١٣
منثورات	١٩
أدلة صدق النبوة : البشارات (٢)	٢١
بصمات الأصابع	٣١
بداية الهداية :	
قصة إسلام الأستاذ إبراهيم خليل أحمد	٣٣
قرأت لك :	
هل أسلم الملك « أوفا » ؟	٤٢

البشرى

﴿ فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴾

«القمر : ٤٢»

الزمان : الأحد الأول من أغسطس ١٩٩٣م - الساعة الثانية ظهراً .

المكان : « ركن الخطباء » في حديقة الـ «هايد بارك» الشهيرة بوسط العاصمة البريطانية « لندن ».

الحدث : اعتاد بعض المسلمين الإنكليز المؤهلين لدعوة بني جلدتهم إلي الإسلام أن يتواجدوا بصفة أسبوعية في«ركن الخطباء» بالحديقة المذكورة ، ليتناوبوا علي الخطابة داعين إلي توحيد الله عزوجل، وموضحين حقائق الإسلام ، ومفندين شبهات أعدائه ،

يتبع ص (١٢)

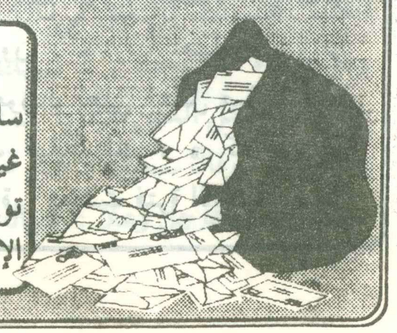

كتاب بريد الإسلام

سلسلة كتب غير دورية تهدف إلى تبليغ رسالة الإسلام ، وتخاطب غير المسلمين والمسلمين الجدد ، والمعنيين بدعوة الفريقين

توزعها : دار الإيمان - ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية - ج م ع - ت ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله

بريد الإسلام

الحياة بغير الله سراب

د. عمر الأشقر

الأيام تذوي يوماً يوماً ، والعمر ينقضي شيئاً فشيئاً ، والحياة تسير بنا لا تقف لحظة، فهذا الطفل قد نما ، وذاك الشاب قد انحنى ، وذلك الشيخ قد واراه التراب ، فمهلاً مهلاً بني الإنسان، فإن الحياة ليست خالدة ، إنها ظل زائل، وعارية مسترجَعة ، أيامها تفني ، وزهرتها تيبس ، وسعادتها تذهب ، ويبقي منها عمل الإنسان ، خيره وشره ، ويعود الإنسان ليحاسبه الله على عمله خيره وشره .

فلا يحسن بك أن تقضي أيامك التي تذهب ولا تعود ، بما يعود عليك بالحسرة والندم، فاغتنم هذه الساعات ، سَخِّرها في طاعة الرحمن، فهي كنز ثمين ، ثمنه لا يقدر بمال.

جَهِلَ أناسٌ حقيقة الدنيا وغاية وجودهم فيها ، فتاهوا حيارى ، وضلوا في منحنيات الطريق ، فلم يفيقوا إلا وملائكة الموت تسل أرواحهم ، عند ذلك تذكروا – والألم يعصف بالنفوس ، والحسرة والندم تعصر القلوب – تذكروا العمر المنقضي فيما لا يفيد ولا يجدي ، فتأوهوا التأوه الذي لا يغني وعلموا أنهم ضيعوا الحياة

بقية ص ١

وكتب الفولكلور ، وكذلك كتب الأنثروبيولوجيا ، بالإضافة إلى الإنجيل نفسه، من أجل الوصول إلى حقيقة الإنجيل ، وقال البروفيسور « روبرت فانك » : « إن المسيحيين الأوائل استلهموا تعليمات المسيح شفاهاً فقط، حيث إنها بقيت غير مدونة لعدة أحقاب بعد المسيح »

وقال المذيع : « ما نقوله هو : أن عيسى قال العديد من الأشياء ، ولكن لأنه أصبح شخصية مهمة تاريخياً ، فقد تقوّل عليه أشخاص آخرون ، مسيحيون بالدرجة الأولى ، تقوّلوا عليه أشياء لم تخرج من فمه».

وقد ووجهت هذه النتيجة باعتراض من القيادات الدينية التقليدية التي لم تدلِ بأى حجة علمية على اعتراضها ، بلَ اكتفى بعضهم بأن قال : « إن هذه الاكتشافات ستؤدى إلى المشاكل » ، وقال آخر : « إننا لوحذفنا هذا القدر الكبير فسوف نذيب العهد الجديد كله»، وقال « فوكس » الكاثوليكى : «فليقولوا لى:من أين يستمد صغارنا القوة فى المستقبل؟! » .

وقال فريق البحث (Jesus Seminar): « إن وظيفتنا هي مجرد بحث تاريخي، وإن أعضاء الفريق ينوون أن يتركوا النتائج تفرض نفسها حيث ينبغي لها أن تكون »).

موعظة جبريل عليه السلام

بريد الإسلام

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

«أتانى جبريل ، فقال :

« يا محمد عش ما شئت ، فإنك ميت ، وأحبب من شئت ، فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت ، فإنك مجزي به ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس »»

حسنه المنذري ، والعراقي ، وانظر : « السلسلة الصحيحة » رقم (٨٣١) .

قوله : « **فإنك ميت** » أى عما قريب ، بدأ بذكر الموت لأنه أفظع ما يلقاه الإنسان وأبشعه.

وقوله « **فإنك مفارقه** » : بموت أو غيره ، وما من أحد فى الدنيا إلا وهو ضيف ، وما بيده عارية ، فالضيف مرتحل ، والعارية مؤدّاة، وإذا علم الإنسان أن من أحب شيئاً يلزمه فراقه ، ويشقى – لا محالة – بفراقه ؛ شغل قلبه بحب مَن لا يفارقه ، وهو ذكر الله عز وجل ، فإن ذلك يصحبه فى القبر ، فلا يفارقه ، وكل ذلك يتم بالصبر أياماً قلائل ، فالعمر قليل بالإضافة إلى حياة الآخرة ، وعند الصباح يحمد القوم السرى ، وعند الممات يحمد القوم التقى .

قال الغزالى رحمه الله معلقاً على هذا الحديث الشريف :

(جمعت هذه الكلمات حِكَمَ الأولين والآخرين ، وهى كافية للمتأمل فيها طول العمر، إذ لو وقف على معانيها ، وغلبت على قلبه غلبة يقين ، استغرقته ، وحالت بينه وبين النظر إلى الدنيا بالكلية ، والتلذذ بشهواتها وقد أوتي المصطفى صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ، وكل كلمة من كلماته بحر من بحور علوم الحكمة) .

وغلام قوب « الساعة » من أذنه يسمع منها النقرات
قال : « مافي جوفها ؟ » قلت له : « سوسة تقرض أيام حياتى »

ما قلت للشباب : «في كنف الله ولا حفظه » غداة استقلا
ضيف زارنا أقام عندنا قليلا سود الصحف بالذنوب وولي

شكرا للإسلام *

بقلم المستشرقة الإيطالية الشهيرة
الدكتورة « لورا ڤيشيا ڤاجليرى »

« بينما كان النبي العربى مستغرقاً فى مناجاة خالقه ؛ إذ أُوحى إليه وحى مبين ، فقام يدعو إلى التوحيد الخالص عابدى الأوثان ، وأتباع اليهودية والمسيحية المحرفتين ، ومِن ثَمَّ واجه بنفسه فى صراعٍ سافرٍ أولئك الناس الذين ينكصون على أعقابهم ، ويتقهقرون عن التوحيد، فيدعون من دون الخالق آلهة أخرى ، إنه لم يسلك فى دعوتهم إلى الإيمان بالله الواحد الأحد تلك الأساليب التى تشل قدرة الإنسان على التفكير ، فلم يخدعهم أو يغرهم بأحداث انحرفت عن مسارها الطبيعي فى الخلق ، أعني ما يطلق عليه المعجزات[1] ، ولم يهددهم بوعيد إلهي يجبرهم على أن يظلوا مشدوهين[2] .

إنه – بكل بساطة – دعاهم إلى التدبر والتفكر فى الكون ، ونواميس الطبيعة ، بدلاً من أن يعزلهم عن محيطهم وواقعهم ، لقد دعاهم فى بساطة متناهية إلى أن يقرءوا كتاب الحياة ، ليحصّلوا من خلال التأمل فيه – اليقينَ بالله الواحد الأحد الذى لا يستغنون عنه أبداً) .وبعد سردها جملة من الآيات القرآنية الكريمة المناسبة للمقام ، استطردت الكاتبة قائلة :

[شكرا للإسلام ؟ :

– لأنه قهر الوثنية بكل ضراوتها ، وبكافة أشكالها .

– ولأنه حرر مفهوم الكون ، والشعائر الدينية ، والأعراف الاجتماعية من كافة الأغلال التى انحدرت بالإنسانية ، وهبطت بالعقول البشرية عن مقامها ، فانطلقت تلك العقول متحررة من قيودها ، وأدرك الإنسان أخيراً كرامته ، فتواضع أمام خالقه رب العالمين .

– ولأن به – أي بالإسلام – تحررت نفس الإنسان من التعصب ، وتحررت إرادته من الروابط التى تُكبِّله بإرادة غيره من البشر ، أو تشده إلى ما يُدَّعى أنه قوى خفية كامنة فى الكهنة الكذبة ، حفظة الأسرار والطلاسم ، وسماسرة الخلاص .

---

* Laura Veccia Vaglieri, Apologia dell Islamismo. PP. 33,34., Translated into English as an "Interpretation of Islam" by Dr. caselli. PP. 30, 31.

(١) إن مما يُعرف به الإنسانُ أنه رسول من عند الله حقاً أن تظهر معه آثار قدرة الله الذى لا يعجزه شيء ، فتظهر على يديه خوارقُ لعادات وقوانين وأسباب مما لا يمكن أن ينشأ عن جهد بشرى ، فيعرف الناس حينئذ أنه مؤيد من عند الله ، بدليل أنه قد ظهرت معه آثار قدرة الله ، ومع أن المعجزة الأولى والأساسية لرسول الله محمد ﷺ هي القرآن الكريم نفسه، إلا أن الله سبحانه قد جمع له إلى ذلك كمًّا هائلاً من المعجزات الحسية الباهرة التى أيده بها ، وهى ثابتة ثبوتاً تاريخياً وفقاً لأدق منهج علمى عرفه التاريخ ، يتحدى أدق معايير النقد التاريخي ، ويبدو أن الكاتبة كانت متأثرة بموقف الشيخ محمد عبده ومدرسته فيما قالته بشأن المعجزات ، وهو موقف أنكره عليه معاصروه ، ومن تبعهم من أهل العلم والتحقيق .

(٢) بل هددهم بذلك بعد أن عتوا ، وتجبروا ، وجحدوا آيات الله الباهرة ، ومعجزاته القاهرة ، وحججه الظاهرة ، وذكّرهم بمصائر من سبقهم من الظالمين ، وإنما كان ذلك بعد دعوتهم للتفكر والتدبر في آيات توحيده التنزيلية والكونية المبثوثة فى الآفاق وفى أنفسهم ، وبعد محاورتهم وإقامة الحجة عليهم .

إن كل هؤلاء – المدعين بأنهم الوسطاء بين الإنسان وبين ربه ، وبالتالى يعتقدون بأن لهم السلطان على إرادة الناس – قد سقطوا من على عروشهم ، فقد أصبح الإنسان عبداً لله وحده ، ولم يعد يشده إلى غيره من الناس سوى التزامات الإنسان الحر نحو الإنسان الحر .

وذلك بعد أن عانى – فيما سلف – عذاب القهر فى المجتمعات المختلفة .

لقد أعلن الإسلام المساواة بين الناس ، فلا فضل لمسلم على آخر بحَسَبٍ ولا بغيره من العوامل التى لا ترتبط بشخصيته ، وإنما يتفاضل عليه بتقوى الله ، وعمله الصالح ، وخلقه الحسن ، ومواهبه ، وفكره السديد .

إن الإسلام رسالة عالمية ، ووحدة واحدة تتجلى فى :

وحدانية الله ، ووحدة الدين ، ووحدة الأنبياء ، فكل الأديان السابقة هى دين واحد ، وكل الأنبياء من كل الأمم هم أنبياء الله الواحد الأحد] ا هـ .

وبرنارد شو يعترف :

(إن أوربا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد ﷺ ، وبدأت تعشق دينه ، كما أنها ستبرىء العقيدة الإسلامية مما اتهمتها به من أراجيف رجال أوربا فى العصور الوسطى ، وسيكون دين محمد ﷺ هو النظام الذى يؤسس عليه دعائم السلام والسعادة ، ويستند على فلسفته فى حل المعضلات وفك المشكلات والعقد .

... وإن كثيرين من مواطنِيَّ ومن الأوروبيين الآخرين يقدّسون تعاليم الإسلام ، ولذلك يمكنني أن أؤكد نبوءتي ، فأقول :

« إن بوادر العصر الإسلامي الأوربي قريبة لا محالة »(*)) .

الأديب البريطانى جورج برنارد شو

(١٨٥٦ - ١٩٥٠)

* نقلاً عن « الإسلام الدين الفطري الأبدى » (١ / ٣١٧).

حسن الخلق مفتاح القلوب

من الجاهلية إلى الإسلام فى ثلاثة أيام

الدكتور ياسر برهامى

عن أبى هريرة رضى الله عنه (بعث رسول الله ﷺ خيلاً قِبَلَ نجد ، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثُمامةُ بن أُثال سيد أهل اليمامة،فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، فخرج إليه رسول الله ﷺ ، فقال : « ماذا عندك يا ثمامة ؟ » فقال : « عندى يا محمد خير ، إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تُنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فَسَلْ تُعْط منه ما شئت » ، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد ، فقال : « ما عندك يا ثمامة » ؟ قال:« ما قلت لك : إن تنعم تنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تكن تريد المال فسل تعط منه ما شئت » ، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد ، فقال : « ما عندك يا ثمامة ؟ » ، فقال : « عندى ما قلت لك : إن تنعم تنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال ، فسل تعط منه ما شئت » ، فقال رسول الله ﷺ : « أطلقوا ثمامة » ، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد ، فاغتسل ، ثم دخل المسجد ، فقال : « أشهد أن لا

إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، يا محمد ! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلىَّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه كلها إلىَّ ، والله ما كان من دينٍ أبغض إلىَّ من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين كله إلىَّ ، والله ما كان من بلد أبغض إلىَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلىَّ ، وإن خيلك أخذتنى ، وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى ؟ » فبشّره رسول الله ﷺ ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة ، قال له قائل : «أصبوتَ؟ » ، فقال : «لا ، ولكنى أسلمت مع رسول الله ﷺ ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبّة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ» رواه البخارى ومسلم ، واللفظ له ، زاد ابن هشام : «أنه انصرف إلى بلاده ، ومنع الحمل إلى مكة، حتى جهدت قريش ، وكتبوا إلى رسول الله ﷺ، يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلى إليهم حمل الطعام ، ففعل رسول الله ﷺ) .

تقتل ذا دم معناه : صاحب دم ، لدمه موقع لرياسته وفضله .

فتأمل يا أخى كيف كانت ثلاثة أيام من مشاهدة رسول الله ﷺ وصحابته الكرام فى المسجد كافية فى إحداث هذا التحول العظيم من شدة العداوة والبغضاء إلى شدة المحبة والموالاة ، ولاشك أن الحياة فى مجتمع مسلم ، والاقتراب من السلوك الإسلامى لابد وأن يكون له مثل هذا الأثر ، وربما كان له أثر أكبر من مجرد الكلمة والبيان ، فعلى الدعاة إلى الله أن يعلموا هذا الأثر ، ويستثمروه فى دعوتهم إلى الله تعالى، ويظهر من الحديث كيف أن الإنسان عدو ما يجهل ، فإذا علمه قبله ، وأحبه ، والتزم به ، فهذا ثمامة بن أثال رضى الله عنه ، كان مبغضاً لرسول الله ﷺ ولدينه ولبلده بسبب ما يسمع عنه من المنفرات ، والأباطيل ، والتهم الكاذبة ، وهكذا الكثير من الكفار ، يبغضون الإسلام وأهله لمثل ذلك ، ولن نستطيع أن نغير ذلك فيهم إلا بتقديم الصورة المشرقة للإسلام من خلال معاملتنا معهم ، وانظر كيف طالت رحمةُ الله هذا الرجل رغماً عنه ، فقد كان أسره سبباً فى إسلامه ونجاته فى الدنيا والآخرة ، ففيه شاهد للحديث الصحيح « أنتم خير الناس للناس تدخلونهم الجنة فى السلاسل » فقد يكون الأسر والهزيمة التى تلحق بالكفار سبباً لفوزهم بالجنة لأنهم إذا شاهدوا الإسلام لم يمسوا إلا والإسلام أحبُّ إليهم من أنفسهم ، وأهليهم ، والناس أجمعين ، وهذه

الإنسانية الضالة المعذبة لن يصل أكثرها إلى الحق إلا بظهوره وغلبته وانتصاره ،

فإنما يدخلون فى دين الله أفواجاً إذا جاء نصر الله والفتح ،

فالعمل من أجل نصرة الإسلام رحمة بالبشرية عامة،ومراعاة لحقوقها ، وحفظ لكرامتها ، لاكما يزعم الملحدون أن ذلك يكون من خلال الحرية الفوضوية المزعومة التى هى فى حقيقتها عبودية للشيطـــان والهوى.

وتأمل كذلك أثر حُسنِ المعاملة فى جواب ثمامة فإنه فى اليوم الأول بدأ بقوله : **«إن تقتل تقتل ذا دم »** ، وفى اليوم الثانى بدأ بقوله **« إن تنعم تنعم على شاكر »** فكأنه لما رأى حسن خلقهﷺ طمع فى كرمه وإحسانه وعفوه ، وهكذا يكون المسلم : كل من يراه يطمع فى إحسانه ، ألم تعلم قول صاحبى يوسف عليه السلام فى السجن: وهما حديثا عهدٍ بلقائه : **﴿ إنـــا نـــراك مـــن المحسنين ﴾** ، وقول إخوته له وهم لا يعرفونه: **﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾** .

وفى الحديث من الفوائد : مشروعية غُسل الإسلام للكافر ، والجمهور على وجوبه إن كان عليه جنابة فى الشرك ، أما إذا لم يجنب، كالصبى يسلم قبل البلوغ ، فالغسل مستحب وليس بواجب ، وقال البعض بوجوبه ، وفيه جواز المن على الأسير ، وإطلاق سراحه دون مقابل لقوله تعالى ﴿ فإما منًا من بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ ، وهو أحد خيارات خمسة للإمام المسلم يختار بينها تخيير مصلحة لا شهوة ، وهى القتل ، والفداء بمال أو بأسرى المسلمين ، أو بعمل ، والمن ، والاسترقاق ، وضرب الجزية عليه ، وجعله ذمة، هذا فى حق الرجال البالغين ، فأما النساء والصبيان ، فلا يجوز قتلهم ، ويلزم استئذان الغانمين فى المن عليهم ، ولا يجوز فداء الصبيان لأنهم صاروا مسلمين بنفس الأسر ، وفيه من الفوائد : جواز إدخال الكافر المسجد لمصلحة شرعية كدعوته إلى الإسلام ، وعرضه عليه ، وأن الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم ، فإنه يؤمر بالاستمرار عليه ، وفى الحديث الصحيح : « أسلمتَ على ما أسلفت من خير»، وفيه مشروعية الحصار الاقتصادى للكفار، وجواز مبايعة المسلم للكفار ، إذا كانت المصلحة البيع لهم .

نظرة فى تاريخ العقيدة

زعم بعض الناس أن العقيدة لم يعرفها الإنسان على ما هى عليه مرة واحدة ، وإنما ترقت وتطورت خلال قرون سحيقة أطلقوا عليها « عصور ما قبل التاريخ » ، و«العصور الحجرية » حيث لم يعرف الإنسان البدائى فى زعمهم له رباً ولا معبوداً ، ثم نشأت لديه عاطفة التدين لما رأى الحيوانات تخشى القوى الخفية ، وتخاف البرق والرعد، فظل يبحث عن معبود يشعر نحوه بالولاء والتقديس مهما كانت صورة هذا المعبود الذى يتوجه إليه بالحب والرهبة ، فالتمسه فى الشمس والقمر والكواكب ، حتى فى الأشجار والحيوانات ، وقد تطور من وثنية إلى وثنية إلى أن اكتشف التوحيد من تلقاء نفسه ، أى أن الدين فى زعم هؤلاء هو نتاج العقل البشرى واختراعه .

ويفهم من هذه المزاعم :

أولاً : أن الإنسان الأول كان أقرب إلى الحيوان ، وأنه خُلق خلقاً ناقصاً غير مؤهل لأن يتلقى الحقائق العظمى كاملة ، وأنه – طبقاً للنظرية الداروينية الفاشلة – كائن تطور عن غيره، وعليه : فليس لتكليف هذا الإنسان ولا لاستخلافه فى الأرض معنى .

ثانياً : أنه كان مشركاً بطبيعته ، والأصل فى فطرته النزوع إلى الشرك والوثنية، وبناء على ذلك: زعموا أن الأصل فى عقيدة البشر العقيدة الفاسدة ، ثم طرأ التوحيد عليها، حيث إن الدين الداعى إلى التوحيد جاء متأخراً عن وجود الإنسان على ظهر الأرض فى زعمهم .

ثالثاً : أنه سعى بجهده وعقله فى البحث عن معبود ، وأن أفكاره تطورت ذاتياً بناء على تجاربه دون توجيه رباني يهديه ويرشده ، إلى أن اكتشف الدين بنفسه دون معلم يعلمه ، وأنه كما ترقى فى العلوم والصناعات ، ترقى كذلك فى معرفة الله تعالى.

رابعاً : أن قروناً طويلة مرت على البشرية وهى لا تعرف لها رباً ولا معبوداً ، لكن كلمـا تـقدم الزمن ترقت فى مفهومها للـدين وتطـورت، وعليه فإن من جاءوا بعد آدم

كانوا على دينٍ أكمل منه ، والقرون المتأخرة كانت أقرب للفهم الصحيح من الأمم المتقدمة.

[وتأسيساً على هذه المزاعم قاموا بمعالجة تواريخ الأمم التى سبقت بعثة محمد ﷺ بما فى ذلك تاريخ أوربا على أنه تاريخ وثنى جاهلى محض ، لا أثر فيه لوجود الله، ولا لدين هو الإسلام طلب الله من البشرية أن تعتنقه ، ولا لنظام ولا لشرع رباني طلب الله من بني آدم أن يخضعوا حياتهم له ، ولا وجود لرسل أرسلوا مِن قِبَل الله عز وجل ، يطلبون من الناس عبادة الله وحدهِ بدون شريك ، أى انتفاء التكليف الربانى لبنى البشر.

والنموذج لذلك ، يتضح لنا ، من كيفية معالجة المستشرقين لتاريخ مصر والعراق وبلاد الشام والجزيرة العربية منذ أقدم الدهور ، والتى أسقطت تماماً أى دعوة إلى الإسلام حملها رسل الله فى حياة الأمم التى سكنت تلك البلاد، وبهذا أصبحت جميع الأمم بلا استثناء تنظر إلي هذه الفترة من تاريخها على أنها خُلقَت وتِركت هملاً، فلم تكن تعرف لها رباً، ولا ترتضى لنفسها ديناً ، ليس هذا فحسب ، بل راحوا يرددون أن الأصل فى عقيدة أهل تلك الأقطار : الوثنية ؛وأنهم تطوروا فى وثنيتهم من التعدد إلى التثنية إلى التوحيد ، وأن أول الموحدين فى مصر من تلقاء نفسه فى التاريخ هو الفرعون أخناتون « أمنحتب الرابع » الذى كان يعبد القوة الكامنة وراء إله الشمس آتون ، وأن عبادته هى الحقيقة والدين الصحيح ، وأن فكرته قد انتقلت إلى بلاد العراق حيث أقام إبراهيم دينه ، أى أن إبراهيم هو مؤسس الإسلام أى أنه ليس وحياً من عند الله !!!

وتأكيداً لهذه المزاعم ، حرص علماء الآثار من المستشرقين على طمس أى قرينة أثرية أو ملامح تاريخية تؤكد أن الله سبحانه وتعالى فطر البشرية على الإسلام ، وارتضاه لها ديناً ، وبه بعث الرسل ، وعندما تظهر قرينة رغماً عنهم تؤكد أصالة خط توحيد الله فى حياة البشر راحوا يعزونها إلى تطور الفكر البشرى ، فهم يزعمون أن الإنسان قد تطور فى معتقده كما تطور فى صناعته .

وأصحاب منطلق التجاهل والتجهيل بالإسلام لا يستندون إلى دليل سوى الجهل، والجهل لا يصلح أن يكون دليلاً] [1] . ١ هـ .

(١) انظر : « الإسلام دين الله فى الأرض وفى السماء » للدكتور جمال عبد الهادى ، حفظه الله ، ص (٢٦) .

وفيما يلى ، نلقى هذه النظرة على :

مسالك الباحثين عن نشأة التدين في الوجود

يقول الدكتور أحمد بن ناصر الحمد حفظه الله :

[إن الطريق الذى يسلكه جمهور الباحثين للوصول إلي هذا المطلب هو التنقيب عن أديلن الأمم القديمة ، أو أديان الأمم المعاصرة غير المتحضرة ، ويعتبر هؤلاء نهاية ما يعلمونه فى القدم من أديان البشر ؛ وما عليه الأمم الأشد تخلفاً من ممارسات دينية صورة مطابقة لما كان عليه الإنسان الأول !

ومصادر هؤلاء فى إثبات آرائهم – بالنسبة للأديان القديمة – النقوش والرم التى يستوحون منها ما يزعمونه قطعياً ، ولما كانت تلك مصادرهم ، اختلفت آراؤهم .

فذهب فريق ، إلى أن الدين بدأ بصورة الخرافة ، وأن الإنسان أخذ يترقى فى دينه على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد ، كما تدرج فى علومه وصناعاته، حتى زعم بعضهم أن عقيدة « الإله الأحد » عقيدة حديثة ، وليدة عقلية خاصة بالجنس السامى ، ونادى بهذه النظرية أنصار المذهب التطورى ، الذى ساد فى أوروبا فى القرن التاسع عشر فى أكثر من فرع من فروع العلم.

وذهب فريق آخر إلى القول : بفطرية التوحيد وأصالته ، وأثبتوا أن عقيدة الخالق الأكبر هى أقدم ديانة ظهرت فى البشرية .

وقد رد أنصار هذا المذهب على القائلين بالمذهب التطورى مع أن مسالكهما فى الوصول إلى تحديد بداية الدين واحدة ، وهى دراسة الشعوب المتأخرة والأمم الغابرة .

وبالنظر إلى مسالك القوم فى إثبات العقيدة الدينية ، يتبين خطؤها ، من حيث الغاية والوسيلة ، يقول الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله : « أما من حيث الغاية التى يهدف إليها البحث ، وهى تحديد الأصل الأصيل للعقيدة والمظهر الذى ظهرت به في أول الأزمنة بإطلاق ، فلأن هذه المنطقة « البدائية المحضة » قد اعتبرها العلم شُقَّةً حراماً حظرها على نفسه، وأعلن بصراحة خروجها عن حدود عمله ... ومؤرخو الديانات على الخصوص معترفون ، بأن الآثار الخاصة بديانة

العصر الحجرى وما قبله لا تزال مجهولة لناجهلاً تاماً ، فلا سبيل للخوض فيها إلا بضرب من التكهن والرجم بالغيب .

وأمامن حيث المنهج ، وهو الاستدلال على ديانة الإنسانية الأولى بديانة الأمم المنعزلة المتخلفة عن ركب المدنية ، فلأنه مبنى على افتراض أن هذه الأمم كانت منذ بدايتها على الحالة التى وصل إليها بحثنا ، وأنها لم تمر بها أدوار متقلبة ، وهو افتراضٌ لم يقم عليه دليل ، بل الذى أثبته التاريخ ، واتفق عليه المنقبون عن آثار القرون الماضية ، هو أن فترات الركود والتقهقر التى سبقت مدنياتها الحاضرة ، كانت مسبوقة بمدنيات مزدهرة ، وأن هذه المدنيات قامت بدورها على أنقاض مدنيات بائدة قريبة ، أو بعيدة ، فى أدوار تتعاقب على البشرية .. فمن العسير أن نحكم بصفة قاطعة أن الخرافات القديمة، بدايةُ ديانات ، كما يمكن أن يكون تحللاً ، وتحريفاً لديانة صحيحة سابقة مزقت أهلَها الحروب ، أو أفسدتهم المؤثرات الاجتماعية ، فقلت عنايتهم بأصول دينهم فضاع ، وبقى تعلقهم بأشياء منه محرفة، أو مغلوطة ، بهذا يظهر مبلغ ثبات الفرض الذى بنيت عليه البحوث الحديثة كلها، وأنها أُسست على جُرُفٍ هارٍ لا تطمئن عليه الأقدام » ١ هـ .

ومما يوضح بطلان هذه الطريقة التى سلكها أصحاب المذهبين للوصول إلى معرفة هذا الأمر المهم بالنسبة للبشرية ، أن القدر الذى عرف من تاريخ البشرية وبين عصر نشأتها لا تزال الثغرة فيه واسعة لم تُسَدَّ ، ولن تُسَدَّ ، إذ لم يقل أحد : « إن الوقائع المفقودة الوثائق يمكن إثباتها على وجه قاطع بمثل هذا الضرب من التخمين اعتماداً على مجرد حسن المقابلة ، وجمال التناسق بينها ، وبين الوقائع المعروفة » ، دون تثبت من حصول التشابه بين تلك العصور، حتى يتم القياس على وجه صحيح ودقيق .

وأما الاستدلال بالآثار من النقوش ، أو الحفريات ، ثم استنطاق الرمم فأمر يحتاج إلى كثير من التأمل ، وكل من كان له قلب يدرك مدى اختلاف تفسيرات الناس للأشياء المعينة المشاهدة فى وقت واحد ، فكيف الحال بتفسيرات المتأخرين بقرون طويلة لأحوال أولئك المتقدمين وأعمالهم ؟ كما أن تعبيرات الناس عن الصور الحية متباينة كل التباين، فكيف هي عنها بعد أن رَمَتْ ؟!

هذا فيما يتعلق بمستند الرأيين على حد سواء ، ويزيد المذهب التطوري فى كونه مبنياً على افتراض آخر ، هو :

أن الملكات والأحاسيس الروحية كالقوى البدنية ، والمكتسبات العقلية ، والتجريبية، فكما أن الإنسان ينتقل في نموه البدني من الضعف إلى القوة ، وفى نموه العقلي من الجهالة إلى المعرفة ، قد يلوح أنه بدأ حياته الروحية بالسخف والخرافة ، ولم يصل إلى العقيدة السليمة إلا بعد جهد وعناء .

وقد انتُقد هذا القياس ، بأن المشاهد من حياة الناس الروحية ، عدمُ التوافق فى كل أدوارها جنباً إلى جنب مع حياتهم المادية ، بل إنهما يسيران فى طريقين متعارضين ككفتي الميزان لا ترتفع إحداهما إلا انخفضت الأخرى،

وقليل من التأمل يهدي إلى أن محاولة قياس الأديان على الفنون والصناعات إنما هو محاولة للجمع بين أمرين لا تؤلف بينهما حقيقة نوعية مشتركة ، بل تتباين طبائعهما ووسائلهما ، ولقد كان مقتضى الوضع السليم في تعرف ما كانت عليه بداية الأديان فيما قبل التاريخ أن نسترشد فى مقارنتها بسير الديانات المعروفة منذ طفولة التاريخ إلى اليوم ، فالمعروف بالاستقراء : أن كل واحدة من هذه الديانات بدأت بعقيدة التوحيد النقية، ثم خالطتها الشوائب ، والأباطيل مع تقادم زمنها ، فالأشبه أن تكون هذه سنة التطور فى الديانات كلها .

ومن عجيب أمر الباحثين فى تاريخ الأديان : أنهم يغفلون آثار الأنبياء ، ويتجاهلون كتبهم ، ويتعلقون بالواهى من الأدلة ، ورموز الأخبار ، والآثار ، وتزداد الغرابة ، وتعظم المصيبة حينما يكون الباحث مسلماً ، ويتابع غير المسلمين فى مثل هذه الأمور التى صرحت بها الرسالات السماوية ، وجَلاها الدين الإسلامى بما لا يدع مجالاً للشك ، سواء بالنسبة لخلق الإنسان ، أو تكوينه ونظام حياته ودينه ، والحكمة من خلقه ووجوده][1] ، والله عز وجل يقول : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾ (الإسراء : ٣٦) ، ويقول جل وعلا : ﴿ **ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً** ﴾ (الكهف : ٥١).

(١) « العقيدة نبع التربية » ص (٦٨ - ٧٤) بتصرف .

واذا كنا من خلال ما سبق ، قد رأينا أن وسائل العلوم التى يسلكها الباحثون فى تحرى الحقائق لم تقدم لنا بياناً شافياً يطمئن إليه القلب، وتسكن إليه النفس عن ديانة الإنسان الأول ، فما هو المصدر الصحيح الذى يمكن من خلاله أن نستشرف هذا الغيب، ونقف على وجه الصواب فيه؟

إنه الوحى الإلهى وحده ، الذى يطلعنا على حقائق الماضي والحاضر والمستقبل التى تغيب عن عقولنا وحواسنا ، إنه القرآن الكريم كلام الله عز وجل الذى ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾ (فصلت : ٤٢) .

القرآن الكريم وحده يوضح تاريخ العقيدة

يقول فضيلة الدكتور عمر الأشقر حفظه الله :

(ليس هناك كتاب فى الأرض يوضح تاريخ العقيدة بصدق إلا كتاب الله سبحانه وتعالى ، ففيه علم غزير فى هذا الموضوع ، وعلم البشر لا يمكن أن يدرك هذا الجانب إدراكاً وافياً لأسباب :

الأول : أن ما نعرفه عن التاريخ الإنسانى قبل خمسة آلاف عام قليلٌ ، أما ما نعرفه قبل عشرة آلاف عام فيعتبر أقلَّ من القليل ، وما قبل ذلك فيعتبر مجاهيل لا يدرى علم التاريخ من شأنها شيئاً ، لذا فإن كثيراً من الحقيقة ضاع بضياع التاريخ الإنسانى.

الثانى : أن الحقائق التى ورثها الإنسان اختلطت بباطل كثير ، بل قل ضاعت فى أمواج متلاطمة فى محيطات واسعة من الزيف والدجل والتحريف ، ومما يدل على ذلك : أن كتابة تاريخ حقيقى لشخصية أو جماعة ما في العصر الحديث تعتبر من أشق الأمور ، فكيف بتاريخ يمتد إلى فجر البشرية ؟!

الثالث : أن قسماً من التاريخ المتلبس بالعقيدة لم يقع فى الأرض ، بل في السماء.

لذا كان الذى يستطيع أن يمدنا بتاريخ حقيقى لا لبس فيه هو الله – سبحانه وتعالى – ﴿ **إن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء**﴾ (آل عمران : الآية ٢٥[1]).

(١) « العقيدة نبع التربية » ص (٦٨ – ٧٤) بتصرف .

فإذا تأملنا القرآن المجيد تجلت لنا بوضوح الحقائق التالية :

الحقيقة الأولى :

أن الله عز وجل خلق آدم منذ البداية خلقاً سوياً مستقلاً مكتملاً ، ثم نفخ فيه من روحه، وأنه خلقه لغاية محددة وهى عبادة الله وحده ، وأنه عليه السلام خُلِقَ مؤهلاً لذلك ، وأنه عرَّفه على نفسه سبحانه منذ البداية ، ولم يتركه لفكره ليتعرف على ربه بطريق التفكير والتأمل ، وهاك بيانَ هذه الحقيقة :

يقول الدكتور أحمد بن ناصر الحمد حفظه الله :

[دلت آيات القرآن المجيد على أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلَّمه الأسماء كلها ، فتميز على الملائكة بنوع علمه ، ثم أسكنه الله – تعالى – الجنة هو وزوجه .

قال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ (البقرة ٣٠) .

وقال تعالى : ﴿ **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾** (الأعراف: ١٩) .

وهل يخطر فى بال عاقل أن يكون هذا المخلوق المكرم ، المعلَّم للأسماء كلها ، لم يعرف الله – تعالى – وما يجب له وما يجوز فى حقه ، وما هو واجب العبد تجاهه ، وهو يرى الملائكة يسبحون الله ويحمدونه ، لا يفترون ، مع أن الله – تعالى – أمره ، ونهاه، وحذره هو وزوجه عندما أمرهما بسكنى الجنة والأكل منها حيث شاءا ، إلا شجرة واحدة ، نهاهما عنها ، وحذرهما عاقبة قربها ، كما أخبر تعالى آدم – عليه السلام– بعدوه وعدو زوجه ، إبليس – لعنه الله – وأن مغبة إطاعته ، خروجهما من الجنة ، وحصولُ الشقاء لآدم – عليه السلام – قال تعالى : ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ (طه : ١١٧) .

ولم يعص اللهَ – تعالى آدمُ – عليه السلام – متعمداً ، قال تعالى : ﴿ **ولقد عَهِدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً ﴾** (طه : ١١٥).

وقال تعالى فيما حكى من فعل إبليس : ﴿ وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾ (الأعراف : ٢١ : ٢٢).

وبعد مخالفة آدم وحواء نهى الله – تعالى – لهما ، وطاعة عدوهما ، وحصول ما حصل نتيجة المعصية من بَدْوِ السوأة والغواية ؛ قال تعالى : ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى ﴾ (طه : ١٢١).

أدرك آدم وحواء بعد الوقوع فى المنهى عنه أثر المعصية ، فندما على ما حصل ، وتوجها إلى الله – تعالى – طالبين مغفرته ورحمته – معترفين بالذنب ، وبظلم النفس .

قال تعالى مخبراً عنهما : ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (الأعراف : ٢٣).

وقال تعالى : ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ (البقرة : ٣٧).

وتلك الكلمات التى تضرع بها إلى الله – تعالى – توبةً وإنابةً لا تكون إلا بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، وهى طريق دعائه ، ومناجاته ، وكان هذا قبل أن يهبطه الله – تعالى – إلى الأرض كما هو رأي بعض العلماء، وبعد أن أهبطه الله –تعالى – إلى الأرض ، ذكّره بعداوة إبليس له ، وأنه مصدر شر له ، وأن هداه وصلاحه لا يكون إلا من الله – تعالى .

قال تعالى : ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه : ١٢٢ – ١٢٤) .

وقال تعالى حاكياً قول إبليس : ﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ (ص : ٨٢ – ٨٣)](1)

(١) « العقيدة نبع التربية » ص (٧٥-٧٨) بتصرف .

الحقيقة الثانية : أن كل مولود يولد على فطرة[1] التوحيد :

لقد دلتنا قصة آدم عليه السلام على أنه كان على عقيدة التوحيد ، ودل القرآن الكريم والسنة النبوية أن هذا لم يكن خاصاً بالإنسان الأول آدم عليه السلام ، وإنما هو عام فى كل مولود .

فقد قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرةَ الله[2] التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله[3] ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم:٣٠)، وقال تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾ (البقرة : ٢١٣).

(١) معنى الفطرة لغة :
هى من « فطر الشيء يفطره » يشقه ، وتَفَطَّر : تشقق ، فالفطر : الشق ، وجمعه : فطور ، ومنه : فطر ناب البعير ، إذا طلع ، وفى التنزيل قوله تعالى : ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ أى : انشقت ، وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنها: « أن النبى ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه » رواه البخارى .
والفطر : الابتداء والاختراع ، قال تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴾ أى خالقهما ومبتدئهما ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « كنت لا أدرى ما ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، أنا بدأتها » .
الفطرة اصطلاحاً :
وردت الكلمة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ ، ووردت فى التنزيل بصيغ أخرى غير صيغة المصدر ، ترجع معانيها إلى الخلق والابتداء والتشقق ، وهى معانيها اللغوية كما تقدم ، والصحيح الذى تؤيده الأدلة أن الفطرة اصطلاحاً هى: الإسلام.
(٢) قال ابن كثير رحمه الله : (فسدِّد وجهك ، واستمر على الدين الذى شرعه الله لك من الحنيفية ، = ملة إبراهيم ، التى هداك الله لها ، وكمَّلَها لك غاية الكمال ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التى فطر الله الخلق عليها ، فالله تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره) اهـ.
(٣) للعلماء فى تفسيرها قولان :
الأول : أنها خبر بمعنى الطلب ، أى : لاتبدلوا خلق الله ، فتغيروا الناس عن فطرتهم .
الثانى : أنها خبر على بابه ، وهو أنه تعالى ساوى بين خلقه كلِّهم فى الفطرة على الجِبِلَّة المستقيمة، لايُولَدُ أحد إلا على ذلك ، ولاتفاوت بينهم فى ذلك .
وفسَّر البخارى قوله ﴿ لاتبديل لخلق الله ﴾ فقال : لدين الله ، واستشهد بأن قوله تعالى ﴿خُلُق الأولين﴾ يعنى دين الأولين ، ثم قال : « والفطرة : الإسلام » .

وقال تعالى : ﴿ **وما كان الناس إلاّ أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون** ﴾. (يونس : ١٩).

فى هؤلاء الآيات الكريمات دلالة على أن الدين الحنيف هو الفطرة التى فطر الله الناس عليها، وذلك هو الدين القيم الذى كان الناس عليه قبل الاختلاف ، وذكر المفسرون فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **كان الناس أُمة واحدة** ﴾ أنّ الناس بقوا عشرة قرون على الدين الحق قبل حدوث التغيير وطروء الشرك .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ :

(« ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يُهوِّدانه ، أو يُنصِّرانه ، أو يُمجِّسانه كما تُنتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاءَ ، هل تُحسُّون فيها من جَدْعاءَ ؟ » ، ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه : اقرءوا إن شئتم : ﴿ **فطرةَ اللهِ التى فطر الناسَ عليها** ﴾ الآية) رواه البخارى ومسلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : « **ما من مولود** » أى ليس مولود من بنى آدم «**إلا يولد على الفطرة**» أى الخِلْقة الإسلامية ، والمراد الدين ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها** ﴾ ، وهذه الفطرة ، قيل : هى الإيمان المعهود الذى أخذ الله به على بنى آدم الميثاق يوم قال لهم : ﴿ **ألست بربكم؟ قالوا : بلى** ﴾ وإليها يشير قوله تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً** ﴾ أى : اثبت على إيمانك القديم الواقع منك فى عالم الذَّرِّ يوم قال تعالى: ﴿ **ألست بربكم؟** ﴾.

وهذه الفطرة هى فطرة الإسلام[1] ، والسلامة من الاعتقادات الباطلة ، والقبول

(١) ويؤيد تفسير الفطرة بالإسلام ما يلى :

أولاً : الروايات المختلفة الألفاظ المتفقة المعانى ، والتى يفسر بعضها بعضاً ، مثل : « **ما من مولودٍ يُولَد إلا وهو على الملة** » ، وفى أخرى : « **إلا على هذه الملة** » كما فى « صحيح مسلم » رقم (٢٦٥٨) .

ثانياً : قول أبى هريرة فى آخر الحديث : (اقرءوا إن شئتم : ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها** ﴾ مما يفيد أنه فسّر الحديث بالآية ، وقد حكى أبو عمر بن عبد البر إجماع العلماء على أن المراد بالفطرة فى الآية : الإسلام .

ثالثاً : فتوى أبو هريرة رضى الله عنه حين سئل عن رجل عليه رقبة مؤمنة ، أيجزىء عنه الصبى أن يعتقه، وهو رضيع؟ فقال : « نعم ، لأنه ولد على الفطرة » أى الإسلام ، وقال ابن شهاب الزهرى : «يصلّى على كل مولود متوفًى وإن =

للعقائد الصحيحة ، فإن حقيقة الإسلام أن يستسلم العبد لله لا لغيره ، وهو معنى «لا إله إلا الله» ، فالقلوب مفطورة على الافتقار إلى الله ، وهى لاتقنع بمحبوب سواه ولاتطمئن إليه ، فإذا أحبت الله عز وجل ووحّدته ؛ سكنت ؛ واطمأنت ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ (الرعد : ٢٨) .

ومَثَلُ الفطرةِ مع الحقِّ كبَصَرِ العينِ مع الشمس ، فكل ذى عين مبصرة لو تُرِكَت عينه بغير حجابٍ عليها فإنه يرى الشمس ، والعقائد الباطلة كاليهودية والنصرانية والمجوسية مثل الحجاب على العين ، فهي تحول بين البصر وبين رؤية الشمس ، كما أن كُلَّ ذى حِسٍّ سليمٍ يحب الحُلْوَ ، إلا أن يعرض فى طبيعته فساد ، يجعلَ الحلوَ فى فَمِهِ مُرّاً :

ومن يكُ ذا فمٍ مريضٍ
يجدْ مُرّاً به الماءَ الزلالا

ولايلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام والإيمان – الذى هو قول ، واعتقاد ، وعمل– بالفعل ، فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لانعلم شيئاً ، ولكن المراد بذلك سلامة القلب ، وإرادته للحق الذى هو الإسلام ، بحيث لو تُرِكَ من غير أن يخضع لمؤثر خارجى من الشياطين أو من الوالدين ، أو نحو ذلك ؛ لما كان إلا مسلماً، وهذه القوة العلمية والعملية التى تقتضى بذاتها الإسلام – مالم يمنعها مانع كمؤثرات البيئة وتقليد الأبوين – هى فطرة الله التى فطر الناس عليها .

= لغيَّة ؛ – أى من ولد الزنا – من أجل أنه وُلد على فطرة الإسلام، وأفتى الزهرى رجلاً عليه رقبة مؤمنة أن يُعتق رضيعاً ، لأنه وُلد على الفطرة .

وقال الإمام أحمد : « من مات أبواه وهما كافران ، حُكِم بإسلامه » ، واستدل بحديث : «**كل مولود يولد على الفطرة** » .

رابعاً : أن فى قوله : « **فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه** » ذكر تغيير الفطرة إلى ملل الكفر دون ملة الإسلام، فعلم أنه يتحول عن الإسلام إلي غيره ، بفعل الأبوين أو غيره .

خامساً : أن فى قوله : « **هل تحسُّون فيها من جدعاء** » إشارة إلى أن البهيمة خُلقت سليمة ، ثم جُدعَت بعد ذلك ، فكذلك الولد يولد سليماً من الكفر ، ثم يطرأ عليه الكفر بعد ذلك ، فالعيب الذى طرأ على البدن ، يقابله العيب الذى طرأ على الدين ، وهو الكفر) اهـ. بتصرف من مقالة بعنوان «فطر الله الخلق على الحق» لعثمان على حسين ، مجلة «البيان » العدد (٥٧) جمادى الأولى ١٤١٣هـ.

وينمو الطفل رويداً رويداً تبدأ هذه الفطرة تتحرك فى أعماقه ، وتجذبه بكل قوة نحو الحقيقة العظمى ، فمِنْ ثَمَّ نلاحظ أنه فى مرحلة معينةٍ يبدأ فى إلقاء أسئلة تكاد لاتنتهى على والديه عما يحيط به :

من رفع السماء ؟ ولماذا هى زرقاء ؟ أين تذهب الشمس ليلاً ؟ لماذا لاتظهر لنا فى الليل ؟ أين يذهب النور حين يحل الظلام ؟ لماذا تتلألأ النجوم ؟ أين تنتهى الأرض؟ لماذا تفوح الروائح العطرة من بعض الأزهار دون البعض الآخر ؟ من أين أتيت؟ وأين كنت قبل أن آتى إلى الدنيا ؟

إنها الفطرة المغروسة فى أعماق نفسه تبدأ فى الاستيقاظ لتتحرك ، وتتعرف على خالق الكون وما فيه ، وكلما نمت ملكاته وزاد علمه؛ كلما اطمأن قلبه بالإيمان بالله وحده ، لاشريك له[1] .

أما الذى تفسد فطرته بعوامل البيئة المحيطة فإنه ينشأ على عقائد منحرفة أجنبية عن فطرته السوية ، قال تعالى فى المنافقين : ﴿ **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** ﴾ فجعل الهدى هو رأس المال الحاصل عندهم والذى منحهم الله إياه ، إلا أنهم عرَّضوه للزوال ، وخسروه حين بدلوا هذه الفطرة المستقيمة القريبة منهم ، واشتروا بها الضلالة البعيدة عنهم ﴿**فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين**﴾ .

إن ذلك الحديث الشريف المتقدم ليؤكد أن الأصل فى عقيدة الإنسان هو التوحيد، وأنه يولد مُهيَّأً للعقيدة الصحيحة فى فاطره وخالقه

(١) (وذلك لأن موجبات الفطرة ومتقضياتها تحصل شيئاً فشيئاً بحسب كمال الفطرة، واستعدادها ، وسلامتها من المعارض ، فكل مولود يولد على الإقرار بفاطره ، ومحبته ، والإذعان له بالعبودية ، فلو خُلِّىَ وعدم المُعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره ، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنَه من الأغذية والأشربة ، كما قال تعالى : ﴿ **الذى أعطى كُلَّ شىءٍ خَلْقَهُ ثم هدى** ﴾ ، فهو سبحانه خلق الحيوان مهتدياً إلى حُبِّ ما ينفعه وجلْبه ، وبغضِ ما يضره ودفعه ، ثم هذا الحب والبغض يحصلان فيه شيئاًفشيئاً بحسب حاجته ، لكن قد يعرض لبعض الأبدان ما يفسد ما وُلِدَ عليه من الطبيعة السليمة والعادة الصحيحة ، وهكذا ما وُلِدَ عليه من الفطرة ، ولهذا شبِّهت الفطرة باللبن ، بل كانت هي اللبن فى تأويل ما رآه النبى ﷺ حين عُرض عليه ليلة الإسراء اللبن والخمر ، فاختار اللبن ، فقيل له : «أصبت الفطرة» أو « هديت للفطرة » فمناسبة اللبن لبدنه ، وصلاحه عليه – دون غيره – كمناسبة الفطرة لقلبه، وصلاحه بها دون غيره ، انتهى ملخصاً من « البيان » العدد (٥٧) ص (١٧–١٨).

سبحانه وتعالى ، أما الشرك فهو انحراف يطرأ على هذا الأصل ، فيفسد الفطرة ، وذلك بتأثير البيئة المحيطة به ، ولذلك قال ﷺ : « **فأبواه يهودانه** » أى يجعلانه يهودياً إن كانا يهوديين ، «**أو ينصرانه** » أى يجعلانه نصرانياً إن كانا نصرانيين « **أو يمجسانه**» أى يجعلانه مجوسياً إن كانا مجوسيين ، والشاهد من الحديث أن الضلال عن فطرة الإسلام ليس من المولود بل من مؤثر خارجى ، فإن بلغ الحلم ؛ وبقى منحرفاً عن دين الفطرة ؛ بقى معه الضلال، وإذا أسلم وجهه لله عز وجل انتفى عنه ، وعاد إلى الفطرة الإسلامية .

وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلاً يؤكد معنى الحديث ، فقال ﷺ : « **كما تُنْتَج** » أى تلد «**البهيمةُ بهيمةً جمعاء** » أى تامة الأعضاء، سميت جمعاء لاجتماع أعضائها، أى أن المولود يولد على الفطرة مثل نتاج البهيمة ، فإنها تولد سليمة الأعضاء كاملتها « **هل تحسون** » أى هل تبصرون « **فيها من جدعاء** » أى مقطوعة الأذن أو الأنف أو الأطراف ، وإنما يطرأ عليها قطع هذه الأعضاء بعد ولادتها سليمة ، كذلك الأبوان الكافران يغيران فطرة ولدهما ، ويحسِّنان له العقيدة الباطلة

وهذا الذى دل عليه الحديث النبوى الشريف دل عليه الحديث القدسى الذى رواه عياض المجاشعى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته حاكياً عن الله عز وجل أنه قال : « . . **وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرَّمَتْ عليهم ما أحللتُ لهم ، وأمَرَتْهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً** » الحديث رواه مسلم .

فقوله تعالى « **حنفاء** » جمع حنيف : وهو الذى يميل إلى الشىء ولايرجع عنه، كالحَنَف فى الرِّجْل ، وهو ميلها إلى خارجها خِلْقَةً ، لايقدر الأحنف أن يرد حَنَفَه ، والمقصود بالحنيف هنا الذى يميل عن الأديان إلى الإسلام .

والحديث يدل على أن الأصل فى الآدميين هو الفطرة والتوحيد ، وأن الشرك عارض طارئ .

« يتبع إن شاء الله »

محمد أحمد إسماعيل

بريد الإسلام

أدلـــــة
صـدق النبـوة المحمدية
أولاً : البشـــارات

الفارقليط هو أحمد صلي الله عليه وسلم

إعداد : محمد الكفراوي

إن ظاهرة عامة ، وحدثاً خطيراً كنبوة رسول الله محمد ﷺ ، وبعثته إلى الناس كافة ، يترتب عليها آثار عظيمة ، لما تضمنته من دعوة الناس كافة إلى عبادة الله وحده ، لا شريك له ، وفقاً لما يوحيه فى رسالته الخاتمة إلى عبده ورسوله محمد ﷺ ، فمِن ثَمَّ سبقها مقدمات ومبشرات تهييء الناس لاستقبالها ، وتوجِد فى قلوبهم استعداداً كاملاً لتقبلها .

وقد بيَّن القرآن الكريم هذه الحقيقة ، في أكثر من سورة ، فقال عز وجل :

﴿ وإذ قال عيسي ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدىَّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾ (الصف : ٦) .

وقال سبحانه :

﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ (الأعراف : ١٥٦-١٥٧) .

وهناك ظاهرة هامة جديرة بالتسجيل ، يدركها الدارسون للنصوص التاريخية التى تتحدث عن « الفترة » فترة ما قبل البعثة

بريد الإسلام

المحمدية الشريفة ، وأثناءها ، وهي أن الناس الذين كان لهم صلة بكتاب سماوى كانوا يرتقبون ظهور نبي على وشك أن يُبْعَث ، بل إن بعض علمائهم قد بادر إلى إعلان إسلامه بمجرد اجتماعه برسول الله محمد ﷺ ، وهاك أمثلة على ذلك:

– فمن ذلك : خبر هرقل لما استدعى أبا سفيان ، وسأله عن النبي ﷺ ، فلما أخبره عن صفاته ودعوته ،قال هرقل: (إن كان ما تقول حقاً ؛ فسيملك موضع قدميَّ هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشَّمْتُ لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه) الحديث – رواه البخارى.

– ومن ذلك : ما ثبت بإسناد حسن أن سلمان الفارسي رضي الله عنه تنقل من عالم نصراني إلي آخر، حتي دلَّه آخرهم على قرب مبعث نبي فى بلاد العرب ، فكان ذلك سبب مجيئه إلى المدينة وسكناه فيها .

– ومن ذلك قول المقوقس ملك القبط فى جوابه لما كتب إليه رسول الله ﷺ داعياً إياه إلى الإسلام : « أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً قد بقي ، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك » .

وجاء الجارود بن العلاء – وكان من علماء النصاري – فى قومه إلى رسول الله ﷺ ، فكان مما قال : (والله لقد جئتَ بالحق ، ونطقتَ بالصدق ، والذى بعثك بالحق نبياً لقد وجدت وصفك فى الإنجيل ، وبشَّر بك ابنُ البتول) يعني عيسى عليه السلام ، وقد أسلم الجارود ، وكذا قومه .

– ومن ذلك : ما ذكرته أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها عن أبيها وعمها اليهوديين ، قالت : (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ونزل قباء ، غدا عليه أبى حيي بن أخطب ، وعمي أبو ياسر مُغَلِّسَيْنِ ، فلم يرجعا حتي كان غروب الشمس ، فأتيا كالَّيْنِ كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا ، فهششت إليهما ، فما التفت إليَّ أحد منهما مع ما بهما من الهم ، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي : « أهو هو ؟ » أى المبشر به فى التوراة ، قال : « نعم ، والله » ، قال : « أتثبته ، وتعرفه ؟ »

قال : «نعم» ، قال : « فما فى نفسك منه؟» ، قال: « عداوته والله ما بقيت أبداً » « البداية والنهاية » (٣ / ٢١٢) .

– ومن ذلك قصة إسلام عبد الله بن سلام وكان من علماء اليهود وأحبارهم ، قال : (لما سمعت برسول الله ﷺ ، عرفت صفته واسمه وزمانه الذى كنا نتوكّف له – أى ننتظره – ، فكنتُ مسراً لذلك صامتاً عليه ، حتي قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلما نزل بقباء فى بني عمرو بن عوف؛ أقبل رجل حتي أخبر بقدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها، وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة ، فلما سَمِعتُ الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبّرتُ، فقالت لى عمتي حين سمعت تكبيري: « خيّبك الله ! والله لو كنتَ سمعتَ بموسى بنِ عمران قادماً ما زدتَ »، قال : فقلت لها : « أي عمة! هو والله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بُعث بما بُعث به » ، قال : فقالت: « فذاك إذن » ، قال : « ثم خرجتُ إلى رسول الله ﷺ، فأسلمت ، ثم رجعت إلى أهل بيتي، فأمرتهم ، فأسلموا ») « البداية والنهاية » (٣ /٢١١)

– ومن ذلك ما وقع من النجاشي ملك الحبشة حين هاجر إليه بعض الصحابة ، وأوفدت قريش عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد لِحَثّ النجاشي على طردهم ، فلما قرأ عليه جعفر بن أبى طالب سورة مريم ، قال النجاشي : « .. فأنا أشهد أنه رسول الله، والذى بَشّرَ به عيسي ابنُ مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيتُه حتى أحملَ نعليه» .

– وقد اشتهر حديث اليهود للأوس والخزرج عن خروج نبي، وكان ذلك من جملة العوامل التى هيأتهم للإيمان :

فعن سلمة بن سلامة رضى الله عنه قال: (كان لنا جار من يهود فى بني عبد الأشهل ، قال : فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ بيسير ، فوقف على مجلس عبد الأشهل ، قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سنّاً ، عَلَيّ بُرْدٌ ، على برد مضطجعاً فيها بفناء أهلى ، فذكر البعثَ والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار ، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت ، فقالوا له : « ويحك

يافلان ! ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، ويجزون فيها بأعمالهم ؟» قال : « نعم والذى يُحْلَفُ به، لَوَدَّ أن له بحظه من تلك النار أعظمَ تَنُّور فى الدنيا يحمونه ، ثم يدخلونه إياه ، فيطبق به عليه ، وأن ينجو من تلك النار غداً » ، قالوا له : « ويحك ! وما آية ذلك ؟ ! » ، قال : « نبيٌّ يُبعَثُ من نحو هذه البلاد » – وأشار بيده نحو مكة واليمن ، قالوا : « ومتى تراه ؟» قال : « فنظر إلىّ وأنا من أحدثهم سناً ، فقال: « إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه » .

قال سلمة : « فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ ، وهو حَيٌّ بين أظهرنا ، فآمنا به ، وكفر به بغياً وحسداً ، فقلنا : « ويلك يافلان ؟ ألست بالذى قلتَ لنا فيه ما قلت ؟» ، قال : « بلى ، وليس به ») رواه الإمام أحمد (٤٦٧/٣) – حديث حسن .

وجاء فى إنجيل يوحنا أن اليهود من أورشليم أرسلوا كهنة ولاويين ليسألوا المعمدان حين ذاع خبر نبوته : « المسيح أنت ؟» فقال : « لست أنا المسيح » ، فسألوه : « إذاً ماذا؟ إيلياء أنت » ؟ فقال : « لست أنا » ، فقالوا : « النبي أنت ؟» فأجاب : «لا») ، والمقصود أنهم سألوه أأنت النبى المعهود الذى أخبر به موسي ، فعلِم من ذلك أن هذا النبي كان منتظراً مثل المسيح وإيلياء ، وكان مشهوراً بحيث لا يُحتاج إلي ذكر اسمه ، بل كانت الإشارة إليه بمجردها كافية .

ومع وقوع التحريف فى كتب القوم إلا أنها بقيت تحوى كثيراً من البشارات ببعثة رسول الله محمد ﷺ ، وقد كانت كتبهم فيما مضي تحوى بشارات صريحة تحمل اسم «محمد» أو «أحمد» أو ما يقاربهما ، كما يُعلم بالتأمل فى النقول التي نقلها بعض علماء المسلمين من الأناجيل فى عصرهم ، أي كما نطقها المسيح ابن مريم عليه السلام تماماً : ﴿ ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ ، فما كان من القوم إلا أنهم ترجموا الاسم العَلَم «محمد » أو « أحمد » ، وحولوه إلى صفة ، فصار البديل كلمة تدل على معنى الاسم (الفيريقليطس) ، ثم ترقوا إلى أبعد من ذلك ، فمارسوا هوايتهم القديمة فى التحريف اللفظي ، وبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل

لهم، فحولوا كلمة «فريقليطس» PERI-QLYTOS أو PARACLYTOS التى تعنى من الناحية اللغوية البحتة : « الأمجد ، والأشهر ، والمستحق للمديح » وهو يوافق تماماً معنى اسم «أحمد » فى اللغة العربية إلى «المعزّى » أو « المحامى » أو « الوسيط » أو «الشفيع »[1] ، مع أن الكلمة اليونانية التى ترادف المعزى ليست « فاراقليطس » PARACLYTOS وإنما هى باراكالون (PARACALON)، واللفظة اليونانية المرادفة لكلمة محامى هى (SANEGORUS)، وأما مرادف كلمة وسيط أو شفيع فهى : (MEDITEA).

وهذا ما قرره البروفيسور « عبد الأحد داود الأشوري » ، وكان من كبار علماء اللاهوت الكاثوليك المتبحرين ، وكان أيضاً على دراية وافرة باللغات القديمة التى حررت بها الكتب والأناجيل المقدسة عند النصارى ، إضافة إلى إلمامه بالعلوم الإسلامية ، الأمر الذى أداه فى النهاية إلى أن أسلم وصنّف كتباً فى دحض عقائد النصارى[2].

لقد بلغ من وضوح الإشارة إلى بعثة النبى محمد ﷺ فى إنجيل يوحنا حداً دفع أحد علماء الإنكليز هو : «أدون جونس » إلى أن يؤلف كتاباً سماه : «نشأة الديانة المسيحية » ، زعم فيه أن شيئاً مما فى الأناجيل مأخوذ من الديانة الإسلامية ، وأن الأناجيل مملوءة بالأفكار الإسلامية ، وذكر من أمثلة ذلك لفظة

(١) والجهل يؤدى إلى ارتكاب أخطاء عديدة ، ولقرون متطاولة كان الأوروبيون واللاتينيون الجهلة يكتبون اسم Muham-mad على أنه Mahomet واسم Mushi على أنه Moses ، لذلك هل من عجب أن يكون أحد الرهبان النصارى والنساخين قد كتب الاسم الصحيح فى صيغة خاطئة ، وهى «باراكليتوس» وتعنى « الأشهر أو الجدير بالحمد» ؟ ولكن الصيغة المحرفة لا تعنى شيئاً إلا العار لأولئك الذين جعلوها تحمل معني « المعزي » أو « المحامى » منذ مدة ثمانية عشر قرناً !!... » أ هـ . من «محمدﷺ فى الكتاب المقدس » لعبد الأحد داود رحمه الله ص (٢١٨) .

(٢) إن التنزيل القرآنى القائل بأن عيسى ابن مريم أعلن لبني إسرائيل أنه كان « مبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » واحد من أقوى البراهين على أن محمداً كان حقيقة نبياً ، وأن القرآن تنزيل إلهي فعلاً،إذ لم يكن فى وسعه أبداً أن يعرف أن كلمة « البرقليط » كانت تعنى أحمد إلا من خلال الوحى والتنزيل الإلهي ، وحجة القرآن قاطعة ونهائية ؛ لأن الدلالة الحرفية للاسم اليونانى تعادل بالدقة ودون شك كلمتي « أحمد ، ومحمد » .

... ومن المدهش أن هذا الاسم الفريد ، الذى لم يُعْطَ لأحد من قبل ، كان محجوزاً بصورة معجزة لأشهر رسل الله وأجدرهم بالثناء ، ونحن لا نجد أبداً ، أى يوناني كان يحمل اسم « برقليطس » ولا أي عربي كان يحمل اسم « أحمد ») أ هـ . من « المصدر السابق » .

«فاراقليطوس » ، فقد طوعت لهذا « العالم » الإنكليزى نفسه أن يقول : (إن هذه الكلمة دخلت فى الإنجيل بعد القرآن ، والمسلمون يقولون إنها كانت فى الإنجيل الأصلى طبقاً للآية الكريمة الواردة فى القرآن) يشير إلى قول الله عز وجل : ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد** ﴾ « الصف : ٦ » وكانت حجة « العالم » الإنكليزي الناصعة هى قوله :

(.. فإن المسيحيين لا يمكنهم أن ينكروا أن لفظة « فيراقليطوس »أو «فارقليط» معناها: «محمد» صراحة) ١ هـ .

وكان الأولى به أن يقول : « إن هذا وما جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة» ، بدلاً من ذلك الافتراض الوهمى الذى لا يقبله عقل ، بل هو محض خرص وتخمين .

نقل علامة الشام القاسمى فى تفسيره المسمى « محاسن التأويل» (١٦/٥٧٨٨-٥٧٨٩) عن جريدة (المؤيد) عدد (٣٢٨٤) صفحة (٢) تحت عنوان : « **لا يعدم الإسلام منصفاً**»

[وقال مسيو مارسيه من « مدرسة اللغات الشرقية » ما يأتي :

إن محمداً هو مؤسس الدين الإسلامي ، واسم « محمد » جاء من مادة «حمد»، ومن غريب الاتفاق أن نصارى العرب كانوا يستعملون اسماً من نفس المادة يقرب فى المعنى من محمد ، وهو « أحمد » لتسمية الفراقليط به ، ومعني « أحمد » : صاحب الحمد ، وهذا ما دعا علماء الدين الإسلامى أن يثبتوا أن كتب المسيحيين قد بشرت بمجئ النبى «محمد » وقد أشار القرآن نفسه إلى هذا بقوله عن المسيح : ﴿**ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد**﴾ .

وقد قال اسبرانجيه : « إن هذه الآية تشير إشارة خاصة إلى عبارة « إنجيل يوحنا » حيث وعد المسيح تلامذته ببعثة صاحب هذا الاسم») انتهى بالحرف .

وأما « إنجيل برنابا» ففيه العبارات الصريحة المتكررة ، بل الفصول الضافية الذيول التي يُذْكَر فيها اسم « محمد » فى عرضها ذكراً صريحاً ، ويقول إنه رسول الله .

وقد نقل الشيخ « محمد بيرم » عن رحالة إنكليزى أنه رأي فى دار الكتب

البابوية فى الفاتيكان نسخة من الإنجيل مكتوبة بالقلم الحِمْيَرِيّ قبل بعثة النبى ﷺ ، وفيها يقول المسيح : « ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وذلك موافق لنص القرآن الكريم بالحرف ، وقد بدل الرهبان لفظ «الفارقليط » فى المطبوعات الأخيرة بـ «المعزي».

قال بعضهم : ولا عجب من هذه التحريفات المتجددة بتجدد الطبعات ، فإنه سجية القوم فى كتبهم المقدسة:

* سجية تلك فيهم غير محدثة *) اهـ

نص بشارة المسيح عليه السلام ببعثة أخيه محمد ﷺ

وهذه البشارة واقعة في آخر أبواب إنجيل يوحنا ، ونصها :

﴿ إن كنت تحبونى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الآب[1] فيعطيكم فارقليط آخر[2] ، ليثبت معكم إلى الأبد ، روح الحق الذى لن يطيق العالم أن يقبله ، لأنه ليس يراه، ولا يعرفه ، وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم ، وهو ثابت فيكم ﴾ (يو ١٤ : ١٥ - ١٧)

(والفارقليط روح القدس[3] الذى يرسله الآب باسمى ، وهو يعلمكم كل شئ، وهو يذكركم كل ما قلته لكم)

(١) وصفت الأناجيل الله عز وجل بأنه أب للمؤمنين ، مثل ما جاء عن المسيح عليه السلام أنه قال : «إنى أصعد إلى أبى وأبيكم ، وإلهى وإلهكم » (يو ٢٠ : ١٧).

(٢) رجح البروفيسور عبد الأحد داود أن كلمة « آخر » تتبع اسماً أجنبياً يُعْلَنُ لأول مرة ، تبدو فى غاية الغرابة ، ولا داعى لها ألبتة ، قال : « ولا ريب فى أن النص كان عرضة للتلاعب والتشويه) .

وإذا أردنا أن نجد المعنى الحقيقى لهذه الكلمات ، فعلينا تصحيح النص ، ووضع الكلمات المسروقة أو المحرفة على الصورة التالية : « وسوف أذهب إلى الآب ، وسيرسل لكم رسولاً سيكون اسمه البرقليطوس، لكى يبقى معكم إلى الأبد) أ هـ . من « محمد فى الكتاب المقدس » ص (٢١٩) .

(٣) وقد رجح « موريس بوكاى » أن تكون كلمة « روح القدس » هنا ملحقة عمداً لإبطال دلالة «الفارقليط» على نبوة محمد ﷺ ، وقال البروفيسور عبد الأحد داود : (أما بالنسبة لروح القدس فى المعادلة فهو ليس شخصاً أو روح فرد ، بل وسيلة أو قوة ، أو قدرة الله التى يولد بها الإنسان ، أو يُهدي إلى الدين ، وإلى معرفة إله واحد) ا هـ

(والآن قد قلت لكم قبل أن يكون ، حتى إذا كان تؤمنون) (يو ١٤ : ٢٦).

وفى الباب السادس عشر من إنجيل يوحنا هكذا :

٧ (لكنى أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط ، فأما إن انطلقت أرسلته إليكم) ،

٨ (فإذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم على خطية وعلى بر وعلى حكم) ،

٩ (أما على الخطية فلأنهم لم يؤمنوا بي) ،

١٠ (وأما على البر فلأنى منطلق إلى الأب ولستم ترونني بعد) ،

١١ (وأما على الحكم فإن أركون هذه قد دين)

١٢ (وإن لى كلاماً كثيراً أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن) ،

١٣ ((وإذا جاء روح الحق ذلك فهو يعلمكم جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع ، ويخبركم بما سيأتى) ١٤ (وهو يمجدنى لأنه يأخذ مما هو لى ويخبركم) .

شرح هذه الوصية

عندما كان يُظهر التلاميذ محبتهم لعيسى عليه السلام بحزنهم على تفكيره فى ارتحاله عنهم، أمرهم بأن يظهروا محبتهم لا بالبكاء والحزن ، بل بالحرص على اهتمامهم بتأدية واجباتهم وبطاعة عامة لكل وصاياه .

فهذا هو ما يسره ويرضيه ، وحينما يهتمون بالواجب ، وتنفيذ الوصايا ، سوف يطلب لهم من الله عز وجل أن يرسل لهم نبياً من بعده ، هذا النبى اسمه أحمد «بيراكليت» ، وهذا النبى ستظل شريعته إلى يوم القيامة ، وعبر عن دوامها بقوله : **سيمكث معكم إلى الأبد،** أى تظل شريعته معكم إلى يوم القيامة ، وهذا الوصف متحقق فى نبى الإسلام لأنه « خاتَمُ النبيين » كما وصفه الله عز وجل فى القرآن المجيد .

« روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لا يراه ، ولا يعرفه ، **وأما أنتم فتعرفونه»** هذا النبى الآتى سيكون آتياً

برسالة حقيقية من الحق – جل جلاله – سوف ينير أذهانكم بمعرفة الحق ، ويثبت إيمانكم بالحق ، لقد انحرف اليهود ، وانحرف العالم ، ولجأوا إلى معتقدات بشرية ، وكل يدعى أنه على حق ، لكن الحق الحقيقى مع هذا النبى ، والعالم لن يقبله ، لأن العالم يموج فى الشر والفساد ، والناس يسعون إلى الدنيا وشهواتها غير مبالين برسالات السماء ، لكنكم أيها التلاميذ تعرفونه بكلامى هذا ،وبما قلت لكم عنه سابقاً ، وتؤمنون بالله مدبر أمر العالم .

إن هذا النبى يستمد قوته من الله الحق ، والتلاميذ سيعرفونه متى جاء ، لأن عندهم خبراً عنه، وخبراً عن الأديان من قِبَلِ السماء ، أما العالم الذى لا يعترف بديانات السماء ، وينكر وجود الله فلا يستطيع أن يقبل هذا النبى بسهولة لأنه ينكر ما وراء المادة ، وهذا النبى متى جاء سوف يُعلِّم أتباع عيسى كل شئ يحتاجون إليه فى شأن الدين والدنيا ، وسوف يذكرهم بكل التعاليم التى قالها لهم عيسى وهو بينهم .

ثم يقول عيسى عليه السلام : من الآن قلت لكم أيها التلاميذ لتؤمنوا به إذا جاء ولتنصرنه ، ولتتركوا كل شئ من أجله ، لا أتكلم كثيراً عما سيقوله لكم ، لكن ينبغى أن تعرفوا أنى نبهت عليه ، ودعوت إلى اتِّباعه ، حتى اذا جاء الشيطان ليُضلَّ العالمَ لا يكن عَلَىَّ لوم فى عدم التنبيه ، سوف يأتى الشيطان ليصد الناس عن اتباع هذا النبى ، لكن الشيطان لن يستند فى إضلاله على كلام صدر منى ، أو عن سكوت منى على الحق ، لن يكون للشيطان فِىَّ شئ يستند عليه ، إذا ما حوسب عن إضلال الناس ، لأنى بَلَّغْتُ.

« بهذا كلمتكم وأنا عندكم ، وأما الفارقليط الروح المقدس الذى سيرسله الأب باسمى ، فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم » هنا نجد أن رسالة عيسى تنتهى عند مجئ الفارقليط ، وهنا يشجعهم عيسى بأن ينتظروا معلماً آخر ، وأخبرهم أن هذا النبى سيرسَل من قِبَلِ الله بناءً على طلب من عيسى نفسه ، وذلك أدعى لاحترامه متى جاء ، لأنه دعوة سيدهم ، وأعلمهم أن هذا النبى سيعلمهم كل شئ ، ويذكرهم بكل ما قاله عيسى .

ومجئ نبى الإسلام من الله باسم عيسى ، يلزم أتباع عيسى بشريعة هذا النبى،

والدخول معه فى دينه ، لأنه لم يأت من تلقاء نفسه ، ولأنه عظَّم عيسى ودعوته الحقيقية ، وأشار إلى نزاهته وبراءته هو وأمه من العيوب ، التى اختلقها اليهود زوراً وإثماً.

وأما عن الأمر الأول ، وهو : (يعلمهم كل شئ) فمعناه : أنه يلزمهم بترك القديم الذى يعلمونه ، ويكتفون بكل شئ جاء به هذا النبى ، أى يتركون الشريعة القديمة،ويتمسكون بالشريعة الجديدة ..وأما عن الأمر الثانى ، وهو : (يذكرهم بكل ما قاله لهم) فمعناه : أنهم سينسون شيئاً مما قاله عيسى ، وقد نسوا أشياء كثيرة ، كما أشار القرآن الكريم بقوله تعالى : **﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم ، فنسوا حظاً مما ذُكِّروا به ﴾** (المائدة ١٤) ولما جاء نبى الإسلام ﷺ كان مُعلِّماً ومُذَكِّراً. .

٨ – « وقلت لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون » هذه العبارة تفيد التعظيم للنبى الآتى ، لأنهم لوعرفوا لماذا يأتى وما فى دعوته من اليسر ؟ لفرحوا بقدومه فرحاً عظيماً ، وهذه العبارة تمهيد لما سيقوله بعدُ من وجوب إيمان التلاميذ به، واعتناق مبادئه ، «وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنون » .

« ومتى جاء الفارقليط الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء »

وهذا النبى إذا جاء ، سوف يشهد أنى عبد الله ورسوله ، وأنى بلغت رسالة الله كاملة غير منقوصة ، وتشهدون أيها التلاميذ مع هذا النبى بذلك ، بناء على ماعندكم من العلم المدون فى التوراة وفى الإنجيل .

وهذا الفارقليط عبَّر عنه عيسى عليه السلام بأنه « روح الحق » ، وأنه « يظهر من قِبَل الله وحده ، ويستمد شريعته ودعوته من الله وحده » ، وهذا الفارقليط سوف يشهد لعيسى بالنبوة ، وأنه عبد الله ورسوله ، وهذه علامة نطق بها عيسى ، لِيُعرَفَ بها صدق نبى الإسلام ، أي إن شهد بفضل عيسى ونبوته كان صادقاً ، لأنى أخبرتكم بهذا حين كنتم معى أول الأمر **﴿ قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً ﴾** الآيات .

لقد أخبرتكم الآن بأن اسمه المبارك : «أحمد» ، ولم أُسمه لكم فى بدء نبوتى، بل ذكرت أوصافه ، لأنى كنت معكم ، أما الآن وأنا مغادر هذه الحياة فأنا أخبركم ، حتى إذا جاء تذكرون أنى قلت لكم ، إنى منطلق إلى رحمة الله الذى أرسلنى ، ولا تحزنوا ، لأنه إن لم أغادر هذه الدنيا ، لا يأتيكم هذا النبى العظيم .

« و متى جاء ذا يُبكِّتُ العالَمَ على خَطِيَّةٍ وعلى بِرٍّ وعلى دينونة »

والمعنى : أن النبى الآتى سيكون من شأنه توبيخ العالم بحيث يُفحمهم عن الرد عليه ، ولا يستطيعون مع هذا التوبيخ مناقضة كلامه ، لكن مَن المقصود بالعالَم ؟ يقول النصارى : «العالم اليهود والأمم» ، ونقول معهم : نعم يوبخ اليهود والأمم ، فإنه لما جاء نبى الإسلام ﷺ وبخ العالم أجمع ، وبخ اليهود على تحريفهم كتاب الله ، ونبذه وراءهم ظهرياً ، ووَبَّخَ النصارى كذلك على تحريفهم لتعاليم عيسى عليه السلام ، ووبخ الكفار لعبادتهم الأصنام من دون الله ، وسوف يكون توبيخه على جهة الخصوص فى مسائل ثلاثة ، وضحها عيسى عليه السلام بقوله : «على خَطِيَّة» و «على بِرٍّ» و «على دينونة» .

« أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى »

وهذا الوصف ينطبق على نبى الإسلام، صلى الله عليه وسلم ، لأنه وبخ اليهود فى عدم إيمانهم برسالة عيسى عليه السلام ، ووبَّخ غير اليهود الذين ألصقوا بعيسى صفة الربوبية ، والذين أنكروه أصلاً ، وأنكروا رسالات السماء .

– « وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضاً » يقول عيسى عليه السلام: إن هذا النبى متى جاء سيوبخ العالم على رفضهم إياه ، لأنه هو البر الأبدى الذى كانوا ينتظرونه ، وأشارت إليه الكتب » .

هذا البر الذى أشار إليه دانيال عن نبى الإسلام ، بقوله : « وليؤتى بالبر الأبدى ، ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين » (دا ٩ : ٢٤) سيوبخهم لماذا يرفضون تبرير أنفسهم بالإيمان مع هذا النبى الذى أشارت إليه التوراة (بالبر الأبدى) ؟

– « وأما على دينونة ، فلأن رئيس هذا العالم قد دين » رئيس هذا العالم فسره النصارى بالشيطان الرجيم ، يقول متى هنرى : « إن إبليس رئيس هذا العالم قد دين ، قد تبين بأنه مضلل عظيم ومدمر عظيم ولذلك دِينَ ، وبدأ تنفيذ الدينونة جزئياً ، لقد طُرد من العالم الوثنى ، عندما أسكتت تعاليمه ، وهُجِرتْ مذابحه » ، والمعنى : أن نبى الإسلام سيوبخ العالم على عدم إيمانهم به فى الوقت الذى فضحت دعوته أساليب الوثنية وأوامر الشيطان ، إذا كان هو قد أدان الشيطان وأخزاه ، فهو بالحرى يدين الناس ويخزيهم.

– يقول عيسى عليه السلام : « إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لاتستطيعون أن تحتملوا الآن » هذا عطف منه كبير على تلاميذه ، وسبب عطفه : ضعفهم ، لأن اليهود سيؤذونهم، والعالم سيبغضهم ، وهذه الأمور الكثيرة ربما توضيحات أكثر عن « ملكوت السموات» أو أوصاف أخرى عن هذا النبى .

– « وأما متى جاء ذاك روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية » أى إذا جاء نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم فإنه سيرشدكم إلى جميع الحق ، والحق الذى عرَّفتكم به وأنا معكم ، والحق الذى ستنسونه ، سيذكركم به ، وحق سيأتى به من عند الله ، يخبر فيه بأشياء كثيرة قبل أن تقع لا يتخلف منها شئ، هذا كله سيخبركم به ، لأن الله هو الذى سيوحى إليه ، ولن يتكلم بشئ من تلقاء نفسه ، قال تعالى ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يُوحَى** ﴾ (النجم :٣، ٤)

– وفى النهاية يشهد عيسى عليه السلام شهادة قيمة لنبى الإسلام صلى الله عليه وسلم بقوله : « ذاك يمجدني » إنه يعظم رسالتى ، ويعترف بفضلى ، وعلى ذلك فلا تحتقروا رسالته ، ولا تنكروا فضله ، بل اتبعوه وعظموه ومجدوه ، كما يمجدنى، وفى هذا يقول تعالى:

بريد الإسلام

﴿ ماالمسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ﴾ الآية (المائدة : ٧٥) .

١٩ – وهذا التمجيد منه لى « لأنه يأخذ مما لى ويخبركم » إنه يأخذ من الله مما هو مُعدٌّ لى فى علم الله ، أى من نفس العلم الذى أخذت منه ، ونُسِبَ إليَّ لأنى أنا الذى أتكلم معكم ، كلانا فى الهدف سواء ، ومن مصدر واحد ، استقينا معلوماتنا ، ومن هذا المصدر الذى أخذت منه،سوف يأخذ ويخبركم .

وفى هذا قال عز وجل :﴿ **شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**﴾ (الشورى: ١٣) .

أهم مصادر جمع هذه المقالة :

١ – « بيركليت » اسم نبى الإسلام فى إنجيل عيسى عليه السلام حسب شهادة يوحنا – د . أحمد حجازى السقا

٢ – إظهار الحق – رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى

٣ – البرهان بورود اسم محمد وأحمد فى الأسفار – محمد عزت الطهطاوى

٤ – محمدﷺ فى الكتاب المقدس – البروفيسور عبد الأحد داود

٥ – الصحيح المسند من دلائل النبوة – مقبل بن هادى الوادعى

٦ – الرسول ﷺ – سعيد حوى

٧ – محاسن التأويل – محمد جمال الدين القاسمى .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ ؛ أنه قال : « والذى نفس محمد بيده ! لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودىٌ ولا نصرانى ، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار »

رواه مسلم

بريد الإسلام

قصة إسلام أبي محمد عبد الله بن عبد الله الترجمان الميورقي

(٧٥٦ – ٨٣٢ هـ)

(القسيس " انسلم تورميدا " سابقاً)

أكبر علماء النصاري في القرن الثامن الهجري

ومؤلف كتاب : (تحفة الأريب في الرد علي أهل الصليب)

فى الوقت الذى كان الصليبيون يكرسون جهودهم فى نشر النصرانية المحرفة فى ربوع الأندلس بعد نفى المسلمين منها ، شرح الله صدر رجل من أكبر علمائها للإسلام، فأسلم وجهه لله ، واستقام على طاعة الله ، وجاهد بيده ولسانه وقلمه فى سبيل الله عز وجل ، ذلكم هو الشيخ « أبو محمد عبد الله بن عبد الله الترجمان الميورقى » ، الذى كان قسيساً يدعي « انسلم تورميدا » ، والذى اشتهر بالترجمان لأنه لما مضى خمسة أشهر على إسلامه ، قدَّمه السلطان فى الديوان لقيادة البحر، وكان يقصد من ذلك أن يتعلم اللغة العربية ، لتكرر عمل الترجمة هناك بين المسلمين والنصارى ، فأتقن اللغة العربية فى سنة واحدة ، وعيَّنَه الأمير رئيساً لشئون الترجمة .

ومن ألقابه عند العوام : « **سيدى تحفة** » وذلك نسبة إلى كتابه الشهير : « تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب » ذلك الكتاب الذى كان بمثابة ضربة قوية على بنيان النصرانية ، كتبه عالم من أكبر علماء النصرانية فى عصره باعتراف أهلها وشهادتهم ، والذى افتتحه بذكر قصة إسلامه التى نختصرها فيما يلى ، فلنصغ إليه الآن وهو يحكى لنا بداية هدايته ، وكيف حرر الله قلبه من رق الشرك والكفران، وشرح صدره للإسلام ، فكان على نور من ربه :

[اعلموا – رحمكم الله – أن أصلي من مدينة « ميورقَة »[1] – أعادها الله للإسلام –

(١) ميورقة : جزيرة فى البحر الأبيض المتوسط ، جنوب شرقي أسبانيا اليوم ، فتحها المسلمون سنة (٢٩٠هـ) ، إلى أن تغلب عليها العدو البرشلونى ، وخربها سنة (٥٠٨هـ) .

وهى مدينة كبيرة على البحر بين جبلين ، يشقها وادٍ صغير ، وهي مدينة متجر ، ولها مرساتان – اثنان – عجيبتان ، ترسوا بهما السفن الكبيرة للمتاجر الجليلة ، والمدينة فى جزيرة تسمي باسم المدينة « ميورقة » وأكثر غاباتها زيتون وتين ،....

وكان والدى محسوباً من أهل حاضرة « مَيورقة » ، ولم يكن له ولد غيرى ، ولما بلغت ست سنين من عمري أسلمني إلى معلم من القسيسين ، قرأت عليه الإنجيل ، حتى حفظت أكثر من شطره فى مدة سنتين ، ثم أخذت في تعلم لغة الإنجيل ، وعلم المنطق ، فى ست سنين .

ثم ارتحلت من بلدى « مَيورقة » إلى مدينة « لاردة » من أرض « القسطلان [1] » ، وهى مدينة العلم عند النصارى فى ذلك القطر .

وبهذه المدينة تجتمع طلبة العلم من النصارى ، وينتهون إلى ألف رجل أو ألف وخمسمائة ، ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذى يقرؤون عليه .

فقرأت فيها علم الطبيعيات، والنجامة مدة ست سنين ، ثم تصدرت فيها أقرأ الإنجيل ولغته ملازماً لذلك مدة أربع سنين ، ثم ارتحلت إلى مدينة « بلونية » من أرض «الأنبردية » ، وهى مدينة كبية جدّاً ، وهى مدينة علم عند جميع أهل ذلك القطر ، ويجتمع بها كل عام من الآفاق أزيد من ألفى رجل يطلبون العلوم ولا يلبسون إلا الملف[2] (الذى هو صباغ الله [3]) ،ولو يكون طالب العلم منهم سلطاناً أو ابن سلطان فلا يلبس إلا ذلك ليمتاز الطلبة عن غيرهم،ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذى يقرؤون عليه .

فسكنت فى كنيسة لقسيس كبير السن عندهم ، كبير القدر اسمه : «نقلاو مرتيل » وكانت منزلته فيهم بالعلم والدين والزهد رفيعة جداً انفرد بها فى زمنه عن جميع أهل دين النصرانية، فكانت الأسئلة فى دينهم ترد عليه من الآفاق من جهة الملوك وغيرهم ، وصحب الأسئلة من الهدايا الضخمة – ما هو الغاية فى بابه ، ويرغبون في التبرك به ، وفى قبوله

(١) وهى تدعى اليوم « كاستيلون » و « قسطلة » مدينة بالأندلس .

(٢) الملف : كمقص ، لحاف يلتحف به .

(٣) لعله زى مصبوغ بصباغ له قداسة عندهم ، والله أعلم .

لهداياهم ، ويتشرفون بذلك .

فقرأت على هذا القسيس علم أصول النصرانية وأحكامه ، ولم أزل أتقرب إليه بخدمته والقيام بكثير من وظائفه ، حتى صيرني من أخص خواصه، وانتهيت فى خدمتي له وتقربى إليه إلى أن دفع إليّ مفاتيح مسكنه،وخزائن مأكله ومشربه،وصير جميع ذلك كله على يدى، ولم يستثن من ذلك سوى مفتاح بيت صغير بداخل مسكنه كان يخلو فيه بنفسه ، الظاهر أنه بيت خزانة أمواله التى كانت تُهْدَى إليه، والله أعلم .

فلازمته على ما ذكرت من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين ، ثم أصابه مرض يوماً من الدهر ، فتخلّف عن حضور مجلس أقرانه ، وانتظره أهل المجلس وهم يتذاكرون مسائل من العلوم ، إلى أفضي بهم الكلام إلى قول الله عز وجل على لسان نبيه عيسى عليه السلام في الإنجيل : (إنه يأتي من بعده نبي اسمه «البارقليط » [1]) ، فبحثوا فى تعيين هذا النبى من هو من الأنبياء ؟ ، وقال كل واحد منهم بحسب علمه وفهمه ، فعظم بينهم فى ذلك مقالهم ، وكثر جدالهم ، ثم انصرفوا من غير تحصيل فائدة فى تلك المسألة ، فأتيت مسكن الشيخ صاحب الدرس المذكور ، فقال لي : «ما الذى كان عندكم اليوم من البحث فى غيبتي عنكم ؟» ، فأخبرته باختلاف القوم فى اسم «البارقليط » ، وأن فلاناً قد أجاب بكذا ، وأجاب فلان بكذا ، وسردت له أجوبتهم ، فقال لى : « وبماذا أجبت أنت » ؟، فقلت : « بجواب القاضى فلان فى تفسيره الإنجيل » ، فقال لى : « ما قَصَّرتَ ، وقَرُبتَ ، وفلان أخطأ ، وكلد فلان أن يقارب ، ولكن الحق خلاف هذا كله ، لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون فى العلم ، وأنتم لم يحصل لكم من

(١) وردت هذه الكلمة فى الأناجيل مرة بلفظ (المعزى) ومرة بلفظ آخر هو (بارقليط) ، و« بارقليط » تعريب لكملة (بيريكلتوس) ، وقد حصل نقاش بين الأستاذ « عبد الوهاب النجار » و د . « كارلو نلينو» حول هذه الكلمة ، فقال : (.. ثم قلت له – وأنا أعلم أنه حاصل على شهادة الدكتوراة فى آداب اللغة اليونانية القديمة – : ما معنى بيريكلتوس) ؟ ، فأجابني بقوله : « إن القسس يقولون : إن هذه الكلمة معناها (المعزى) » ، فقلت : إني أسأل الدكتور(كارلونلينو) الحاصل على الدكتوراة فى آداب اللغة اليونانية القديمة ، ولست أسأل قسيساً » فقال : (إن معناها : الذى له حمد كثير) ، فقلت : هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد ؟ فقال : نعم ، فقلت إن رسول الله ﷺ من أسمائه « أحمد » ، فقال : يا أخى أنت تحفظ كثيراً ....) انظر : « قصص الأنبياء » عبد الوهاب النجار، ص(٣٩٧ – ٣٩٨) .

العلم إلا القليل » ، فبادرت إلى قدميه أقبلهما ، وقلت له « يا سيدي قد علمتَ أني ارتحلت إليك من بلد بعيد ، ولى فى خدمتك عشر سنين ، حَصَّلْتُ عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها ، فلعل من جميل إحسانكم أن تمنوا عَلَيَّ بمعرفة هذا الاسم » ... فبكي الشيخ، وقال لى : «يا ولدى .. والله أنت لتَعُزُّ عليَّ كثيراً من أجل خدمتك لى ، وانقطاعك إلىَّ ، فى معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة ، لكنني أخاف عليك أن يظهر ذلك عليك ، فتقتلك عامة النصارى فى الحين » ، فقلت له : « يا سيدى والله العظيم وحق الإنجيل ومن جاء به لا أتكلم بشيء مما تسرُّه إلَيَّ إلا عن أمرك » ، فقال لى : « ياولدى إنى سألتك في أول قدومك عَلَيَّ عن بلدك ، وهل هو قريب من المسلمين ؟ وهل يغزونكم أو تغزونهم لأختبر ما عندك من المنافرة للإسلام، فاعلم ياولدى أن « البارقليط » هو اسم من أسماء نبيهم محمد[1] ﷺ وعليه نزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال[2] عليه السلام، وأخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه ، وأن دينه هو دين الحق ، وملته هى الملة البيضاء المذكورة فى الإنجيل » ، قلت له : « يا سيدى وما تقول فى دين هؤلاء النصارى ؟» فقال لى : «ياولدى لو النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله ، لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله ، ولكن بَدَّلوا وكفروا » .

(١) من الواضح أن هذا القسيس يُصَدِّق برسالة النبي ﷺ إذ إنه يعرف أوصافه الموجودة فى التوراة والإنجيل ، وقد تحدث العلماء المسلمون عن معرفة علماء أهل الكتاب للنبي محمدعليه الصلاة والسلام ، وقد نقل الإمام الجويني –رحمه الله – ما تناولته الآية الكريمة من قوله تعالي : ﴿ فاسئل الذين يقرؤون الكتاب﴾ (يونس : الآية ٩٤) وما يتعلق بها من معان ، وأشار إلى قول صاحب الكشاف الذى قال : (والمعنى أن الله تعالى قدّم ذكر بنى إسرائيل ، وهم قراء الكتاب ، ووصفهم بأن العلم قد جاءهم ، لأن أمر رسول الله ﷺ مكتوب عندهم فى التوراة والإنجيل ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ...) وخلص إلى القول : (فالغرض : وصف الأحبار بالرسوخ فى العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله .....) .انظر : «شفاءالغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل » للإمام عبد الملك بن عبد الله الجويني ، و « الدر المنثور » للسيوطى (١ / ١٤٧) .

(٢) نقل الشيخ رحمة الله الهندى (فى البشارة الحادية عشر) فى الباب الثانى من كتاب دانيال حال الرؤيا التى رآها بختنصر ملك بابل ونسي ، وهى رؤيا طويلة ، انظر : دانيال (٢ :١-٤٦) ، وخلص إلى أن تلك الأوصاف تنطبق على الرسول ﷺ ، انظر : « إظهار الحق » لرحمة الله الهندي ، ترجمة عمر الدسوقي (٢٦٧/٢) ، « محمد ﷺ ، فى الكتاب المقدس» للبروفيسور عبد الأحد داود ص (٨٦-٩٤)، ص (١٣٣-١٤٤).

فقلت له : « يا سيدى وكيف الخلاص من هذا الأمر ؟» فقال : « ياولدى بالدخول فى دين الإسلام » ، قلت له : « وهل ينجو الداخل فيه ؟» ، قال لى: « نعم ينجو فى الدنيا والآخرة» ، فقلت : «يا سيدى إن العاقل لا يختار لنفسه إلا أفضل ما يعلم ، فإذا علمتَ فضلَ دين الإسلام فما يمنعك منه ؟» فقال لي : «ياولدى إن الله تعالى لم يطلعني على حقيقة ما أخبرتك به من فضل الإسلام ، وشرف نبى أهل الإسلام إلا بعد كبر سني ، ووهن جسمي ، ولا عذر لنا فيه بل هو حجة الله علينا قائمة ، ولو هداني الله لذلك وأنا فى سنك لتركتُ كُلَّ شيء ، ودخلت فى دين الحق، وحب الدنيا رأس كلِّ خطيئة ، وأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى من رفعة الجاه والعز والترف ، وكثرة عَرَضِ الدنيا ، ولو أني ظهر عَلَيَّ شيء من الميل إلى دين الإسلام لقتلتني العامة فى أسرع وقت ، وهب أني نجوت منهم ، وخلصتُ إلى المسلمين ، فأقول لهم : إني جئتكم مسلماً ، فيقولون لي : قد نفعت نفسك بنفسك بالدخول في دين الحق ، فلا تَمُنَّ علينا بدخولك فى دينٍ خلَّصْتَ به نفسك من عذاب الله ، فأبقي بينهم شيخاً كبيراً فقيراً ابن تسعين سنة ، لا أفقه لسانهم ، ولا يعرفون حقي، فأموت بينهم جوعاً[1] ، وأنا والحمد لله على دين عيسى وعلى ما جاء به ، يعلم الله ذلك مني » ، فقلت له : «ياسيدى أفتدلني أن أمشي إلى بلاد المسلمين وأدخل فى دينهم ؟» ، فقال لى : « إن كنت عاقلاً طالباً للنجاة فبادر إلى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة، ولكن ياولدى هذا أمر لم يحضره أحد معنا الآن، فاكتمه بغاية جهدك ، وإن ظهر عليك

(١) هذا خيال فاسد ، وسوء ظن بخير أمة أخرجت للناس ، وجهل بسماحة الإسلام ، ونظامه الاجتماعى الرائع المبني على التكافل والرحمة والإحسان إلى الخلق ، وحفظ حقوقهم ،ورعاية قدرهم ، هذا إذا كانوا باقين على دينهم ، فكيف بمن انضم إليهم مسلماً لله عز وجل ، شاهداً شهادة الحق ؟ وتأمل ما حكاه أبو عبيد عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله وهو يكتب إلى عدى بن أرطاة بالبصرة قائلاً له : (.... وانظر مَن قِبَلَكَ من أهل الذمة قد كبر سنه ، وضعفت قوته ، وولت عنه المكاسب ، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه ، فلو أن رجلاً من المسلمين كان له مملوك كبرت سنه ، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب ، كان من الحق عليه أن يقوته ، حتى يفرق بينهما موت أو عتق ، وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر مرَّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس ، فقال : « ما أنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية فى شيبتك ، ثم ضيعناك فى كبرك » قال : ثم أجري عليه من بيت المال ما يصلحه »اهـ. من « كتاب الأموال » للإمام أبى عبيد القاسم بن سلام ، وأقوى رد على هذا الخيال الفاسد هو ماحظي به تلميذه الترجمان لما آوى إلى المسلمين من الاحترام والتقدير والتكريم .

شيء منه قتلتك العامة لحينك ، ولا أقدر على نفعك ، ولا ينفعك أن تنقل ذلك عني، فإني أجحده ، وقولي مُصَدَّقٌ عليك ، وقولك غير مُصَدَّق عَلَيَّ ، وأنا بريء من ذلك إن فُهْتَ بشيء من هذا » ، فقلت : « يا سيدى أعوذ بالله من سريان الوهم لهذا» ، وعاهدته بما يرضيه .

ثم أخذت فى أسباب الرحلة وودَّعْتُه ، فدعا لى عند الوداع بخير ، وزودني بخمسين دينار ذهباً ، وركبت البحر منصرفاً إلى بلدى مدينة « ميورقة » فأقمت بها مع والدى ستة أشهر ، ثم سافرتُ منها إلى جزيرة صقلية ، وأقمت بها خمسة أشهر ، وأنا أنتظر مركباً يتوجه لأرض المسلمين.

فحضر مركب يسافر إلى مدينة « تونس» ، فسافرت فيه من « صقلية » ، وأقلعنا عنها قرب مغيب الشفق ، فوردنا مرسى « تونس » قرب الزوال .

فلما نزلت بديوان « تونس » ، وسمع بي الذين بها من أحبار النصارى ، أتوا بمركبٍ، وحملوني معهم إلى ديارهم ، وصحبتهم بعضُ التجار الساكنين أيضاً بتونس، فأقمت عندهم فى ضيافتهم على أرغد عيش أربعة أشهر ، وبعد ذلك سألتهم هل بدار السلطان أحد يحفظ لسان النصارى، وكان السلطان آنذاك مولانا أبا العباس أحمد -رحمه الله - فذكر لى النصارى أن بدار السلطان المذكور رجلاً فاضلاً من أكبر خُدَّامه اسمه « يوسف الطبيب » وكان طبيبه ، ومن خواصه ، ففرحت بذلك فرحاً شديداً .. وسألت عن مسكن هذا الرجل الطبيب ، فدُللْتُ عليه ، واجتمعت به ، وذكرت له شرح حالي ، وسبب قدومى للدخول فى الإسلام ، فسُرَّ الرجل بذلك سروراً عظيماً بأن يكون تمام هذا الخير على يديه ، ثم ركب فرسه ، وحملني معه لدار السلطان ، ودخل عليه فأخبره بحديثي، واستأذنه لى ، فأذن لي .

فمثلت بين يديه ، فأول ما سألني السلطان عن عمري ، فقلت له : « خمسة وثلاثون عاماً» ، ثم سألني عما قرأت من العلوم ، فأخبرته ، فقال لي : « قدمتَ قدوم خير ، فأسلم على بركة الله » ، فقلت للترجمان - وهو الطبيب المذكور - : « قل لمولانا السلطان إنه لا يخرج أحد من دين إلا ويُكثرُ أهلُه القولَ فيه ، والطعنَ فيه ، فأرغب من إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأحبارهم ، وتسألوهم عني وتسمعوا ما يقولون فى جنابي ، وحينئذ أسلم إن شاء الله تعالى » ،

فقال لى بواسطة الترجمان : (أنت طلبت ما طلب « عبد الله بن سلام » من النبي صلى الله عليه وسلم حين أسلم [1]) .

ثم أرسل إلى أحبار النصارى وبعض تجارهم ، وأدخلني فى بيت قريب من مجلسه، فلما دخل النصارى عليه ، قال لهم : « ما تقولون في هذا القسيس الجديد الذى قدم فى هذا المركب؟» قالوا له : « يا مولانا هذا عالم كبير فى ديننا ، وقالت شيوخنا : إنهم ما رأوا أعلى من درجته فى العلم والدين فى ديننا » ، فقال لهم : « وما تقولون فيه إذا أسلم ؟» .قالوا : « نعوذ بالله من ذلك ، هو ما يفعل هذا أبداً » فلما سمع ما عند النصارى بعث إلىَّ ، فحضرت بين يديه ، وشهدت شهادتى الحق بمحضر النصارى، فصلَّبوا [2] على وجوههم ، وقالوا : « ما حمله على هذا إلا حبُّ التزويج ، فإن القسيس عندنا لا يتزوج [3] » ، وخرجوا مكروبين محزونين .

(١) تشابهت قصة إسلام «الترجمان» بقصة إسلام الصحابي الجليل عبد الله بن سلام رضى الله عنه ، وهو من بني إسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب نبى الله ، وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، قالوا : جاء نبى الله ، فاستشرفوا ينظرون ، إذ سمع به عبد الله بن سلام ، وهو فى نخل لأهله يخترف لهم منه ، فعجل أن يضع التى يخترف لهم فيها ، فجاء وهى معه ، فسمع من نبى الله ﷺ ثم رجع إلى أهله، قال : فلما خلى نبى الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام ، فقال: « أشهد أنك رسول الله حقاً ، وأنك جئت بحق ، ولقد علمت اليهود أني سيدهم ، وأعلمهم ، وابن أعلمهم ، فادعهم ، فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فىَّ ما ليس فىَّ » .
فأرسل نبى الله ﷺ إليهم ، فدخلوا عليه ، فقال لهم نبى الله ﷺ : « يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، وأني جئتكم بحق : أسلموا » ، قالوا : «مانعلمه » ، فأعادها عليهم ثلاثاً ، وهم يجيبونه كذلك » . قال : « فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام» ؟ قالوا : « ذاك سيدنا ، وابن سيدنا ، وأعلمنا ، وابن أعلمنا » ، قال : « أفرأيتم إن أسلم ؟ » ، قالوا: حاشا لله ! ما كان ليسلم » ، فقال : « يا ابن سلام ، اخرج عليهم » ، فخرج إليهم ، فقال : « يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله ، والله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقاً ، وأنه جاء بالحق » ، فقالوا : « كذبت » ، فأخرجهم النبى ﷺ) اهـ من « عيون الأثر» لابن سيد الناس (٢٥٠/١) ، وانظر « فتح البارى » (٧ / ٢٧٢).

(٢) صلَّبوا : وهذا أمر ثابت عند النصارى لأنهم إذا أرادوا التعوذ من شيء رفعوا أصابعهم مضمومة على جبهتهم ، ثم أشاروا بعلامة الصليب مروراً بالكتف الأيمن فالأيسر فالوسط ، وقد تتعدى هذه الإشارة من التعوذ إلى البركة حيث إن البابا يرسم هذه الإشارة حينما يظهر لعامة الناس .

(٣) (حرَّمت الكنيسة الكاثوليكية على القسس والرهبان والراهبات الزواج ، فأدى ذلك التحريم إلى انتشار الفسق =

فرتّب لى السلطانُ رحمه الله ربع دينار كل يوم فى دار المختص ، وزوّجنى ابنة الحاج محمد الصفّار .

فلما عزمت على البناء بها أعطاني ماية دينار ذهباً ، وكسوة جيدة كاملة ، فبنيت بها ، وولد لى منهاولد سميته « محمد آ » على وجه التبرك باسم نبيناً ﷺ) اهـ.

* * *

ثم شرع الشيخ عبد الله الترجمان فى ذكر طرف من أخبار الدولة الحفصية التى خدم فى ديوانها ، ثم أردفه بأبواب تسعة كشف فيها هوية كُتّاب الأناجيل الأربعة «متي، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا » ، وأكد أنهم ليسوا من حواريى المسيح عليه السلام بأدلة علمية دقيقة ، ثم ناقش قضايا التعميد «التغطيس» والتثليث ، والأقانيم ، والخطيئة الأولى ، والعشاء الربانى ، وصك الغفران ، وقانون الإيمان ، وفنّدها كلّهابنصوص الأناجيل، وبأدلة العقل الصريح .

ثم أثبت بشرية المسيح عليه السلام ، ونفى ألوهيته المزعومة ، ثم عرض التناقضات فى نصوص الأناجيل المحرفة ، ثم تعرض لما يعيبه النصارى على المسلمين ، كزواج العلماء والصالحين ، والختان، والنعيم الحسى فى الجنة، ثم ختم كتابه بإثبات نبوة رسول الله محمد ﷺ، وبيان فضله ومنزلته بنصوص من التوراة والإنجيل [٢] .

وبعد : فهذا طرف من سيرة الشيخ الميورقى وجهاده بقلمه ولسانه فى سبيل الله عز وجل ، أما جهاده بيده فقد اشترك رحمه الله فى جهاد بنى جلدته من الكافرين ، وفى حملة الأسطول الحفصى على جزيرة صقلية (سنة

= والفجور بين رجالها ونسائها ، حتى لقد كان القسس والرهبان يتصلون بالراهبات أنفسهن ، ويبررون ذلك بأنه ضربٌ من المساكنة الروحية) « الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام » د.على عبد الواحد وافى ، ص (١٢٢) ، ولهذا السبب قام مارتن لوثر – البروتستانتي فى القرن السادس عشر بثورة على الكنيسة ، وكان من ضمن آرائه فى الإصلاح: (أن جزءاً من فساد الدين يرجع إلى عدم الزواج ، ورأي أن المنع منه لم يكن فى المسيحية فى عصورها الأولى ، فقرر حقهم فى الزواج ، وتزوج هو فعلاً مع أنه من رجال الدين، وكان زواجه من راهبة) من « محاضرات فى النصرانية» لأبى زهرة ، ص (٢١٦) .

(٢) وقد طبع الكتاب « دار البشائر الإسلامية » – بيروت – لبنان – ص ب . ٥٩٥٥ – ١٤ بتحقيق الأستاذ عمر وفيق – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٧٩٦ هـ تقريباً) كان يتولى منصب القائد البحرى .

فإن صحت رواية استشهاد الترجمان أثناء الغارة الصليبية على تونس ، فهذا شرف عظيم يضاف إلى سجله الناصع فى خدمة دين الحق والجهاد فى سبيله .

إن سيرة الشيخ الترجمان منار ينير الدرب للتائهين فى لجج الظلام ، وديا جير الجهل ، ويحرر عقولهم من أسر التقليد الأعمي لمن لا يملكون لهم رزقاً ولا أجلاً ، ويهدى الحائرين الباحثين عن الحقيقة التي هى أقرب لأحدهم من حبل الوريد ، إنها حجة على الجاحدين المعاندين الذين غلّقوا أعينهم ،ووضعوا أصابعهم عليها ليقنعوا أنفسهم أن الشمس غائبة ، وأن الدنيا ظلام ... ﴿ ويأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾.

رحم الله الشيخ الترجُمان ، وأعلى درجته فى المهديين ، وأسكنه الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحَسُنَ أولئك رفيقاً ، والحمد لله رب العالمين .

لماذا هرب نابليون ؟

لما فرّ « نابليون بونابرت » هارباً من القاهرة إلى الإسكندرية ، وركب البحر سراً إلى بلاده ، قال لمرافقيه مبرراً سر هروبه وهزيمته :

« لم أكن أعرف أن الإسلام قوىٌ بما يحمل علماؤه فى صدورهم وعقولهم ، يبدو أن القرآن الذى يحملون ، قوة عليا ، لا تقهر ، ولا تهزم» ، وما إن وصل إلى فرنسا حتى صرح بقوله:

« مازلت حيّاً ، أمارس حياتى ، لأننى تركت المسلمين فى مصر ، دون تدخل أكثر، أعتقد أننى لو تدخلت أكثر من هذا، لما عدت إلى فرنسا إلا جثة ، وربما لا أعود ولا حتى جثة.

أحمد الله أننى لم أكن موجوداً فى العصر الذى كان فيه نبى الإسلام ، يقود المعارك ضد أعدائه، وإلا كنت قد هزمت بجدارة، فإنه إذا كان هذا حال أتباعه ، فكيف به هو؟» .

«لو أن القادة العسكريين يتمسكون بمبادئهم كما يتمسك رجال مصر بدينهم، لأصبح العالم ملكى، لو كنت قائدهم» .

«الإسلام ورسوله فى فكر هؤلاء »

للأستاذ أحمد حامد ص (٥٤ – ٥٥)

من يجيب هذا السؤال ؟!

في محاضرة له بمدينة « بورتلاند » بولاية « أوريجون » بأمريكا تلقى المحرر السؤال التالى من أخت أمريكية لم تذكر اسمها ، وقد آثرنا أن نشرك القراء في إجابته ، وسننشر أفضل الإجابات التى تصلنا إن شاء الله تعالى .

السؤال هو :

" Why do you think I've lived in the U.S. for thirty years and NEVER heard about Islam ?"

ما هو – فى اعتقادك – السبب فى أننى عشت فى الولايات المتحدة لمدة ثلاثين سنة لم أسمع خلالها إطلاقاً عن الإسلام ؟

أخلاق النصر عند المسلمين
كما يحكيها راهب " سنت دنيس "

تحطمت الموجات المتلاحقة التى قام بها التتار فى نهاية الأمر على صخور الإسلام الراسية، وجباله الشم العالية ، وذاب الغزاة فى مجتمعات المسلمين ، واعتنقوا آخر الأمر الدين الذى جاؤوا لإزالته من الوجود .

وأعلنت النصرانية حرباً ضارية على الأمة الإسلامية ، وكانت حملات الصليبيين كالسيل الهادر تريد أن تمحو الإسلام من الوجود ، ولقد بقيت أخبار الحملات الصليبية لطخة قذرة فى جبين أمم النصارى ، فقد كانت تلك الحروب صورة للتعصب المقيت ، والحقد الدفين ، والهمجية والرعونة ، وقد هَزَم المسلمون فى النهاية الصليبيين في ميدان القتال ، وهزموهم في ميدان الأخلاق والعدل والنبل ، وقد حوّلت الأعمال الرائعة – التى كان الصليبيون يرونها في المسلمين – جموعاً كبيرة منهم إلى الإسلام ،

فقد عرف هؤلاء أن ما هم فيه باطل وضلال ، وعرفوا أنهم كانوا مخدوعين من قِبَل فئة من الذين استغلوهم لمصالحهم ومآربهم ، وقد قارن هؤلاء بين إساءة أبناء ملتهم ، وإحسان أعدائهم لهم فى كثير من المناسبات ، فكان ذلك باعثاً لهم ليتعرفوا على دين أعدائهم المحسنين .

يروي السير توماس عن راهب من رهبان سنت دنيس[1] ، كان قسيساً في المعبد الخصوصي للملك لويس السابع ، ورافقه في إحدى غزواته طائفة كبيرة ، يقول هذا الراهب :

[وفي طريق الصليبيين إلى القدس ، عبر جبال الأناضول ، التقوا بجيش المسلمين ، فهُزِم الصليبيون شرّ هزيمة ، وكان ذلك فى الممر الجبلي ، « فريجيا » وذلك سنة ١١٤٨ ، ولم يصلوا إلى مرسى « أضاليا » إلا بشق الأنفس ، ومنها استطاع القادرون بعد تلبية طلبات التجار اليونانيين الباهظة أن يرحلوا إلى أنطاكية بحراً ، وقد دفعوا مبالغ طائلة ، وتركوا خلفهم الجرحي والمرضي والحجّاج ، فدفع لويس خمسمائة مارك[2] لليونانيين على أن يعنوا بهؤلاء الضعفاء حتى يشفوا ، وعلى أن يرافقهم حرس اليونانيين حتى يلحقوا بمن سبقهم ، فما كان من اليونانيين الغادرين إلا أن تربصوا حتى تباعد جيش الصليبيين ، واتصلوا بالمسلمين الأتراك وأخبروهم بما عليه الحجاج والجرحي ، ممن تخلفوا من الوهن والعجز ، ثم قعدوا ينظرون إلى إخوانهم فى الدين ينال منهم البؤس والمرض وسهام المسلمين ، ولما ضاق الصليبيون المتخلفون ذرعاً بما أصابهم ، خرج ثلاثة آلاف أو أربعة من قلعتهم محاولين النجاة بأنفسهم ، فحصرهم المسلمون، وشدوا عليهم ، ثم حملوا على المعسكرات الصليبية ، وكان حال من خرج ومن بقي فى المعسكر ليس فيه أقل رجاء ، ولم يُنقَذوا إلا بما نزل فى قلوب المسلمين من الرحمة ، حين اطّلعوا على ما فيه عدوهم من بأساء ، وما أصابهم من ضراء ، رقّت قلوبهم ، وذابت نفوسهم رحمة لأعدائهم الصليبيين المساكين ، فواسوا المريض ، وأحسنوا للفقير ، وأطعموا المسكين بسخاء وكرم ، وبلغ من إحسان المسلمين أن بعضهم استردّ بالشراء أو الحيلة أو القهر النقود الفرنساوية التى أخذها اليونان من الحجاج ، وردها عليهم ، ووزعها على المحتاجين من الصليبيين ، وقد كان الفرق واضحاً بين معاملة هؤلاء الكفار (يقصد المسلمين)

---

(١) « الرسالة الخالدة » لعبد الرحمن عزام ص (٣١٦) .

(٢) أى : عن كل فرد

للحجاج المسيحيين، ومعاملة اليونان الذين سخّروا إخوانهم فى الدين ، ونهبوا أموالهم وضربوهم ، كان الفرق عظيماً لدرجة حملت الصليبيين على اعتناق دين الأعداء المنقذين، ومن غير أن يُكْرَهُوا أو يُقْهَرُوا ، لقد فروا من إخوانهم فى الدين الذين أساؤوا إليهم ، فلحق ثلاثة آلاف بالجيش الإسلامي بعد أن رجع عنهم ، ودخلوا فى دينه ، لقد كانت الرحمة أشد قسوة من الخيانة، لقد أعطاهم المسلمون الخبز وسلبوهم الإيمان ، واحسرتاه !!! لقد ارتدوا عن المسيحية من غير أن يجبر واحد منهم على ترك دينه][1] ا هـ.

لا أسوة في الشر

لما تقاتل المسلمون والفرس مثّلَ الفرسُ بقتلى المسلمين تمثيلاً وحشياً ، فأقسم بعض المسلمين ليفعلن بالفرس مثلها ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عمربن الخطاب رضى الله عنه ، فغضب غضباً شديداً، وقال : « **ومتي كان لنا فى الفرس أسوة** » ؟

عن عبد الله بن سلام – وكان سيد اليهود وعالمهم – رضي الله عنه قال:

(أول ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، انجفل الناس إليه – أى : أسرعوا– **فكنت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه ، واستثبتُّه** – أى : تَحَقَّقْتُه، وتبينته **عرفت أن وجهه ليس بوجه كذّاب ، قال : فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : ياأيها الناس ! أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام، وَصِلُوا الأرحام ، وصلّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام»)**

رواه الإمام أحمد ، والترمذي ، وقال : « حسن صحيح » .

(!) يتحسر هذا المسكين على ترك هؤلاء باطلهم ، وكان أحرى به أن يتحسر على إهلاكه نفسه بسبب كفره وضلاله .

..... ورجع يجر أذيال الخيبة !

بقلم المهندس /محمد توفيق أحمد (رحمه الله)

« أذكر أنه إبان الحرب العالمية الأولى ، أقام التبشير الأمريكى داراً له فى باب الشعرية بالقاهرة، يشرف عليها القس المبشر « جلوى »، وظل يعقد الاجتماعات ، ويُلقى المحاضرات ، ويقدم الإغراءات المختلفة ، فلا يحضرها إلا قلة من ذوى الحاجات !

وأخيراً قرر العودة إلى أمريكا تاركاً نشاطه لنائبه المصرى الذى تابع نشاطه بهمة عظيمة ، ووزع الكساء والمال بسخاء على رواد دار التبشير من فقراء المسلمين ، وزاد الإقبال على الدار بغية الحصول على المنح المادية ، وأرسل النائب صورة من هذا النشاط الكبير ، وعن العدد العظيم الذى يؤم الدار يومياً لرئيسه فى أمريكا ، طالباً المزيد من العون، وزادت دهشة القس «جلوى » لذلك ، فقد عاش يخدم داره هذه أكثر من عشر سنوات ، ولم يفز بمثل هذا النجاح ، فقرر زيارة مصر ثانية ، وأعلن نائبه عن ذلك ، ودعا الناس لحضور حفل استقباله ، وامتلأت دار التبشير هذه بالزائرين ، أملاً فى الحصول على مزيد من المنح !

وقام النائب بتقديم القس للحاضرين على أنه منشئ هذه الدار ، ورب هذه النعمة التى تُقَدَّم إليهم ، ثم وقف القس بعد ذلك ليقول كلمته ، وبعد هنيهة تفرس فيها وجوه هذه الجمهرة الكبرى ، قال بصوت عالٍ : **«وَحِّدُوه ... ! »** ، وسرعان ما انطلق الجميع فى صوت واحدٍ : **« لا إله إلا الله ، محمد رسول الله»**، فنظر إلى نائبه نظرة عتاب على ما أنفقه لهؤلاء القوم من أموال ، ثم تكلم كلمة عامة عن « المحبة » ، وأخيراً قرر إنهاء خدمة نائبه ، وإنهاء العمل ، وتصفيته ! » ، وعاد إلى أمريكا يجر أذيال الخيبة .

بريد الإسلام

لم يُبْصِرْه ولم يُكَلِّمْهُ ولكن هداه !

بقلم فضيلة الدكتور / عمر سليمان الأشقر

« كيف اهتديتَ إلى الإسلام ؟ » وجهتُ هذا السؤال إلى رجل ألماني أعلن إسلامه ، رجل يحمل شهادات عليا في أكثر من مجال ، فقال لي : إن أول معرفته بالإسلام تعود إلي أيام الشباب عندما كان في رحلة إلى ألبانيا أثناء عطلة دراسية، وبينما هو يسير في أحد الشوارع الضيقة اصطدم بأحد الرجال ، ولما تبينه واعتذر له عرف أنه أعمى لا يبصر، ولم يفقه الأعمى من اعتذار الرجل له شيئاً لأنه لا يفقه لغته ، ومع ذلك فإن هذا الكفيف يمسك بيد الرجل الذى اصطدم به بإصرار ، ويسير به حتى منزله ، ويقدم له ما تيسر من طعام ، يقول هذا الأخ المسلم : « ولقد رأيتُ هذا الرجل يقوم بحركات انطبعت صورتها في عقلى ، وعلمتُ فيما بعد أنها صلاة المسلمين .

لقد استحوذ أمر هذا الرجل على تفكيرى وقتاً ، لِمَ يُصِرُّ على مصاحبتي إلى منزله ثم يكرمني بلا مقابل ولا معرفة ، وهو لا يستطيع أن يفهم لغتي وما هذا الذي فعله أمامي ؟! ما هذه الحركات ؟! لقد دفعني ذلك عندما رأيت أشباهاً لهذا الرجل يعملون مثل ما عمل من حركات ، إلى التعرف عليهم وعلى مبدئهم ، وكانت مسيرة طويلة أدَّتْ بي إلى الإسلام ، ولكن كان الخيط الأول هناك » .

إن في هذه الرواية التى وقعت عبرة وعظة لدعاة الإسلام والعاملين به ، إن كلمة الحق قد تثمر فى قلب سامعها ولو بعد عهد طويل ، وإن الاستقامة على الحق والعمل به قد تؤثر في الآخرين وتقودهم إلى الهدى ، إن مثل هذا من الآثار التي لا ينسي الله صاحبها ﴿**إنا نحن نحي الموتي ونكتب ما قَدَّموا وآثارهم**﴾ إن المسلم صاحب دعوة يتعامل مع الله سبحانه وتعالى ، عليه أن يقدم ما عنده ويقول كلمة الحق ، ويتخلق بالإسلام ، وكلمة الحق تثمر ، والإسلام ينتشر فى القلوب والعوالم بما أودعه الله فيه من نور ، وللمسلم الأجر والثواب ، و « **من دَلَّ على خير فله مثل أجر فاعله** » .

على المسلم أن يبذل جهده كما يريده الله ، وليس عليه أن يُدخِل الهدى في القلوب فذلك شأن الله وحده ، ولا تبخل في تبليغ دعوة الله إلى أحد ، صغيرٍ يعقل ، أو ضالٍّ بعيد عن الحق ، أو ملحد ، أو صاحب دين آخر ، فإنك لا تدرى لعله يستجيب ، وما يدريك لعل الله يهديه ولو بعد حين ؟!